

قصة إبراهيم - عليه السلام -
مع أبيه وقومه
دروس وعبر

إعداد

د/ هناء عبد المحسن محمود ماضي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

جامعة الأزهر

قصة إبراهيم – عليه السلام – مع ابيه وقومه : دروس وعبر

هناء عبد المحسن محمود ماضي
قسم: التفسير وعلوم القران – كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة .
البريد الإلكتروني: dr.hanaa214@yahoo.com

ملخص البحث

تحدث القران الكريم عن بعض الأنبياء والمرسلين، وعرض لنا نماذج من قصصهم وسير من حياتهم، ومواقفهم مع أقوامهم، وطريقة دعوتهم لهم، وما جري بينهم وبين أولئك الأقوام، وما انتهي إليه الأمر من إهلاك الله – تعالي – للكافرين، ونصرته للنبيين والمرسلين، ومن تبعهم من المؤمنين.

وكان من بين أولئك الأنبياء والمرسلين الذين فصل القران الكريم منهجهم الدعوي، ومواقفهم مع أقوامهم هو إبراهيم – عليه السلام – الذي يلحظ من يقرأ الآيات القرآنية طريقة دعوته لأبيه، وطريقته في دعوة قومه.

وما يهمني في هذا البحث هو: قصة إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه وقومه: دروس وعبر.

وقد اشتمل بحثي المتواضع علي: مقدمة، وفصل تمهيدي، وأربعة مباحث، وخاتمة.

خصصت المقدمة للتعريف بمصطلحات البحث، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

أما الفصل التمهيدي فقد تحدثت فيه عن حياة إبراهيم – عليه السلام –، ودينه، وصفاته.

اما المبحث الأول فقد تحدثت فيه عن القصص القرآني، ومميزاته.

والمبحث الثاني قصة إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه.

والمبحث الثالث منهج إبراهيم – عليه السلام – في دعوة المشركين.

والمبحث الرابع تعذيب إبراهيم – عليه السلام – من قبل قومه.

ثم جاءت الخاتمة، وفيها اهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: القصة القرانية، إبراهيم – عليه السلام –، إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه، إبراهيم – عليه السلام – مع قومه، دروس وعبر.

The story of Ibrahim (peace be upon him) with his father and his people: Lessons and morals

Hanaa Abdel Mohsen Mahmoud Mady
Department : of Interpretation and the Qur'an Science, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Mansoura-
Email : dr.hanaa214@yahoo.com

Abstract

The Qur'an mentioned some Messengers and Prophets, showed us examples of their stories and biographies, their situations with their people, their method of missionary activity, what went on between them and their people, depreciation of disbelievers and granting victory to Messengers, Prophets and believers by Allah- the Almighty- in the end. Ibrahim (peace be upon him) was one of those Messengers and Prophets that the Qur'an illustrated their missionary activity method and their situations with their people as those who recite the Qur'an verses observe his method of missionary activity to his father and his people. What interests me in this research is the story of Ibrahim (peace be upon him) with his father and his people: lessons and morals. My research included an introduction, an introductory chapter, four research pivots and a conclusion. The introduction dealt with research terminology definition, methodology, literature review and research proposal. The introductory chapter dealt with the story of Ibrahim (peace be upon him), his religion and qualities. The first research pivot dealt with the Qur'an storytelling and its characteristics. The second research pivot dealt with the

story of Ibrahim (peace be upon him) with his father. The third research pivot dealt with Ibrahim (peace be upon him) method of missionary activity with disbelievers. The fourth research pivot dealt with torturing Ibrahim (peace be upon him) by his people. The research ended in a conclusion including the most important results and recommendation.

Key words: The Qur'an Storytelling- Ibrahim (peace be upon him) - Ibrahim (peace be upon him) with his father- Ibrahim (peace be upon him) with his people: lessons and morals

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، تعظيما لشأنه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه – ﷺ – وصحبه وإخوانه. **أما بعد؛؛؛**

فإن الأمم لتعتز بما لديها من علوم ومعارف، سواء كانت هذه العلوم والمعارف حقه أم باطلة فهذه أمم الغرب من أهل الكتاب من يهود ونصارى يعتزون بكتبهم المحرفة، وهذه أمم الشرق تعتز بما لديها من عقائد موروثة قلدوا فيها الآباء والأجداد على جهل وضلالة.

أما نحن أمة الإسلام التي تدين لهذا الدين الذى لا يقبل دينا سواه، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥). فلدينا أعظم ثروة علمية عرفها التاريخ من يوم أن خلق الله – عز وجل – الأرض إلى أن يرثها ومن عليها، فحرى بنا أن نفخر ونعتز بهذه الثروة ألا وهى القرآن الكريم الذى ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(فصلت: ٤٢). امتن به على عباده حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، فيه خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا، هو الصراط المستقيم، والعروة الوثقى، والنور المبين، من خالفه من الجبابرة قصمه الله، ومن ابتغى العلم بغيره أضله الله، وفيه من كل عجيب وغريب تحدى به أهل البلاغة والفصاحة أن يأتوا ولو بأقصر سورة من مثله، قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(يونس: ٣٨).

وتؤكد الباحثة أننا بحاجة ماسة إلى الغوص في معانى القصص القرآنى الكريم لاستجلاء الدروس والعبر والعظات والفوائد لتكون ماثلة للناس ينهلون من معينها.

والقصة في القرآن الكريم لم تأت تسلية للرسول - ﷺ - وتثبيتًا لفؤاده فحسب بل أتت أيضا للعبرة والاتعاظ والوقوف عند أحداثها والتفكر فيها، قال تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الأعراف: ١٧٦) وقال تعالى في ذلك: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١).

فالقرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا رسوخا في الإعجاز، أنزله الله تعالى على رسوله محمد بن عبد الله - ﷺ - لفظا ومعنا، منقولا بالتواتر ومفيدا للقطع واليقين[١].

قال ابن مسعود: قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء أعم وأشمل فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتى وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم[٢].

---

(١) القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، ط٣، منشورات العصر الحديث، الرياض، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٩.

(٢) ابن كثير الدمشقي، أبو الفدا إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، (٤/٣٣٩)، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، بتصرف.

والقرآن الكريم يشتمل على كثير من القصص، إما من حيث قصص الأنبياء كقصة خلق آدم – عليه السلام –، وإبراهيم – عليه السلام – وموسى – عليه السلام –، أو قصص تتعلق بزمن محمد – صلى الله عليه وسلم – أو قصص أشخاص لم تثبت نبوتهم كقصة أصحاب الكهف، وذى القرنين، ولفضل هذا النبى العظيم إبراهيم – عليه السلام – الذى نال محبة الله – عز وجل –، واتخذه الله خليلا، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾(النساء: ١٢٥) رأت الباحثة الوقوف على قصته ومنهجه في دعوته – عليه السلام – لأبيه وقومه لاستجلاء الدروس والعبر والمواعظ.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١- يتناول البحث رسولا من أولى العزم من الرسل، ونبيا كثر ذكره في القرآن الكريم، وعلى لسان نبي الله محمد – صلى الله عليه وسلم – وبيان عظيم ما اتصف به هذا النبي من صفات، وبيان بعض طرائقه في الدعوة إلى الله، ليكون قدوة للدعاة على مر الزمان في اتباع منهجه.

٢- الرغبة الشديدة في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية والدفاع عنهما.

٣- ذكر ما تميز به إبراهيم – عليه السلام – باصطفاء من الله – جل جلاله – بأن جعله خليلا له، وأن جعله أبا للأنبياء.

٤- توضيح ما يتمتع به إبراهيم – عليه السلام – من منزلة رفيعة عند المسلمين فيتشرف المسلمون بالانتساب له – عليه السلام – فهم الورثة الحقيقيون له – عليه السلام – في العقيدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران: ٦٨).

٥- تكمن أهمية الدراسة في ما احتوته قصة إبراهيم – عليه السلام – من دروس وعبر وعظات وفوائد جليلة وخصوصا في باب العقيدة والدعوة وحاجة الناس إلى ذلك.

٦- محاولة إظهار الصفات العظيمة التي تحلى بها إبراهيم – عليه السلام – قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾(النجم: ٣٧).

أهداف البحث:

١- بيان مكانة سيدنا إبراهيم – عليه السلام –.

٢- بيان أهمية القصص القرآني لأخذ الدروس والعبر.

٣- معرفة منهج الأنبياء في الدعوة إلى توحيد الله – عز وجل – والاقتداء بهم.

٤- استنباط الدروس والعبر من قصة إبراهيم – عليه السلام –.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

من هو نبي الله إبراهيم – عليه السلام – ؟ وما صفاته ؟ وكيف حاور أبيه وقومه ؟ وما الحكمة من دعوته ؟ وما هى الدروس والعبر المستفادة من منهج إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه وقومه ؟

هذه الأسئلة وغيرها سأحاول الإجابة عنها من خلال صفحات هذا البحث، أسأل الله أن يوفقنى فيه وأن يثيبنى عليه.

منهج البحث:

سوف تستخدم الباحثة المنهج الاستقرائي الموضوعي ثم الاستنباطي الذى تقوم من خلاله الباحثة ببذل أقصى جهد عقلي ونفسى عند دراسة النصوص بهدف استخراج دروس وعبر من قصة إبراهيم – عليه السلام –. وتتبع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بنبى الله إبراهيم – عليه السلام –،

وعزو الآيات إلى سورها وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية التي وردت فيها بجانب الآية في المتن. الرجوع إلى الكتب الأصلية بالإضافة إلى الكتب الحديثة، تخريج الأحاديث من مظانها، وعزوها إلى مصادرها الأصلية، فإن كان فى البخاري ومسلم، اكتفيت بذكر المصدر دون الحكم على الحديث، لصحة الكتابين بعد القرآن الكريم، وترجمة الأعلام المغمورة التى وردت فى البحث، وذلك بذكر اسم العلم وميلاده وأشهر مصنفاته، ووفاته.

الدراسات السابقة:

بالتقصي والبحث والتحري، لم أجد دراسة سابقة تناولت قصة إبراهيم – عليه السلام – من حيث الدروس والعبر المستفادة منها، والدراسات العلمية التي وقعت بين يدى وتتحدث عن إبراهيم – عليه السلام – في جوانب معينة كالدعوة مثلا أو التربية أو مقارنة أديان، ومن هذه الدراسات ما يلى:

١– الخليل إبراهيم – عليه السلام – في الكتاب والسنة، دعوته وهجرته ورد شبة المستشرقين، عبد الله أبو سيف، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢– تأملات في ضوء سورة إبراهيم – عليه السلام –، محمد عبد العظيم سعد، رسالة دكتوراه من جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٣– إبراهيم – عليه السلام – في أسفار اليهود عرض ونقد، فاطمة ردمان، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

٤– توجيهات تربوية من سيرة إبراهيم – عليه السلام –، إبراهيم العرينى، رسالة ماجستير من جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.

٥- إبراهيم – عليه السلام – في التوراة، دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم، سليمان الراجحي، رسالة ماجستير من جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٤٢١هـ.

٦- إبراهيم الخليل – عليه السلام – في القرآن، دراسة موضوعية، قسطاس إبراهيم، رسالة ماجستير من جامعة الإيمان، اليمن، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على: مقدمة، وفصل تمهيدي وأربعة مباحث على النحو التالي:

المقدمة وتحتوى على: أهمية البحث وأسباب اختياره، أهداف البحث، تساؤلات البحث، منهج البحث، الدراسات السابقة، بيان خطة البحث.

الفصل التمهيدي: التعريف بإبراهيم - عليه السلام -.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حياة إبراهيم - عليه السلام -.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اسم ونسب إبراهيم – عليه السلام –.

المطلب الثاني: حياة إبراهيم – عليه السلام – مولده وقوميته، ابتلاءاته وأنواعها، وفاته.

المبحث الثاني: دين إبراهيم - عليه السلام - وصفاته.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دين إبراهيم – عليه السلام –.

المطلب الثاني: صفات إبراهيم – عليه السلام – الخِلقية والخُلقية.

ثم أربعة مباحث:

المبحث الأول: القصص القرآنى ومميزاته.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المفهوم اللغوى والاصطلاحى للقصة القرآنية.

المطلب الثانى: الفرق بين القصة القرآنية وغيرها من القصص.

المطلب الثالث: خصائص وأغراض القصة القرآنية.

المبحث الثانى: قصة إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أدبه – عليه السلام – في دعوته لأبيه.

المطلب الثاني: موقف أبيه من دعوته – عليه السلام –.

المطلب الثالث: استغفاره – عليه السلام – لأبيه.

المطلب الرابع: الدروس والعبر المستفادة من قصة إبراهيم– عليه السلام – مع أبيه.

المبحث الثالث: منهج إبراهيم - عليه السلام - في دعوة المشركين.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دعوته – عليه السلام – لعبدة الكواكب والنجوم.

المطلب الثاني: دعوته – عليه السلام – لقومه من عبدة الأصنام والتماثيل.

المطلب الثالث: دعوته – عليه السلام – لعبدة الملوك والحكام.

المطلب الرابع: تحطيمه – عليه السلام – للأصنام وتكسيرها.

المطلب الخامس: الدروس والعبر المستفادة من منهج إبــراهيم – عليه السلام – في دعوة المشركين

المبحث الرابع: تعذيب إبراهيم - عليه السلام - من قبل قومه.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إلقاء إبراهيم – عليه السلام – في النار.

المطلب الثاني: معجزة نجاته – عليه السلام – من النار.

المطلب الثالث: هجرته – عليه السلام – لبلاد الشام.

المطلب الرابع: الدروس والعبر المستفادة من تعذيب إبراهيم– عليه السلام –، من قبل قومه.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

الفصل التمهيدي

التعريف بإبراهيم - عليه السلام -

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حياة إبراهيم - عليه السلام -

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اسم ونسب إبراهيم - عليه السلام -

أولا: اسم إبراهيم - عليه السلام -:

كثر ذكر اسم إبراهيم – عليه السلام – في القرآن الكريم، حتى ورد اسمه في خمس وعشرين سورة من القرآن، ومجموع مرات ذكره هو تسع وستون مرة[١]، والأصل في إبراهيم من برهم أي أدام النظر، وإبراهيم اسم أعجمى[٢] " في اسم إبراهيم ست لغات وهى إبراهيم وإبراهام وإبراهوم وإبرهم بغير الياء وبفتح الهاء وكسرها وضمها "[٣].

وقرئ لفظ إبراهيم في القرآن بألف هكذا " إبراهام " أو ياء " إبراهيم " وهما لغتان بمعنى واحد[٤]، وفى اختلاف القراءة سواء بالألف أو الياء

(١) عبد الباقى، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٢ – ٣ بتصرف.

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، (٤٨/١٢)، دار صادر، بيروت، لبنان.

(٣) البعلى، محمد بن أبى الفتح: المطلع على أبواب الفقه، تحقيق: محمد الإدلبى، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م بتصرف.

(٤) محيسن، محمد: القراءات وأثرها في علوم العربية (٣١٣/١)، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

يقول أبو منصور البغدادي: " القراءة بالياء لتتابع القراءة عليه، ومن قرأ إبراهام فهي لغة عبرانية تركت على حالها ولم تعرب "[1].

" إبراهيم " كلمة سريانية تعنى أب رحيم، وفى العبرانية اسم مركب من كلمتين هما: إب أى أبّ، وراهام أى جماعة أو جمهور أو عدد كثير كرهام بالعربية[2]، وقيل أن إبراهيم اسم أعجمى غير معرب، وقيل: هو مشتق من البرهمة وهى شدة النظر وإدامته[3].

ويقال أيضا إن اسم إبراهيم من الأسماء التى تنبئ عن نشأة دينية لأنه على أرجح معانيه يفيد معنى (حبيب الله)، لأن (رام) تعنى المحبة بالسريانية، ولعل التغيير الذى حصل على اسم (إبرام) إنما استحدث ليفيد معنى (حبيب الله) بدلا من (حبيب الإله) الذى كان يعبده والده فى معابد الوثنية[4]، قال ابن حجر: " وقيل أن المعنى بالسريانية أنه راحم "[5].

وورد في معنى إبراهيم – عليه السلام – ما ذكره ابن عطية[6] في تفسير قوله

---

(١) البغدادى، أبو منصور: معانى القراءات، تحقيق: عيد درويش وعوض القوزى، (١/١٧٥ – ١٧٦)، دار المستشرق، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

(٢) الرّهم والرّهام جماعة الرجل وبه سميت المرأة رُهْما.
ابن منظور: لسان العرب، مادة رهم، (١٢/٢٥٧).

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة برهم، (١٢/٤٨)، مرجع سابق.

(٤) العقاد، عباس محمود: إبراهيم أبو الأنبياء، بدون طبعة ونشر، ٢٩٤.

(٥) العسقلانى، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل: فتح البارى شرح صحيح البخارى، (٦/٣٨٩)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٦) ابن عطية: عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن عطية المحربى، ولد ٤٨٠هـ، ومن آثاره التفسير المسمى "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" توفى: ٥٤٦هـ=

تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٢٤) أن معناه بالعربية أب رحيم[1]، ويؤكد هذا المعنى السهيلى[2]، فهو يرى ذلك لرحمة إبراهيم - عليه السلام - بالأطفال، فكان وزوجته سارة كافلا لأطفال المؤمنين الذين يموتون صغار إلى يوم الدين[3]، ويوافق القرطبى قول ابن عطية لورود الدليل في ذلك عند البخارى من حيث الرؤيا الطويل والذى جاء فيه: " وأما الرجل الطويل الذى في الروضة فإنه إبراهيم - عليه السلام - وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة ... [4]"[5].

= انظر: الزركلى، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس: الأعلام، ط٥، (٢٨٢/٣)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، بتصرف.

(١) ابن عطية عبد الحق: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٣٤٧/١)، تحقيق: المجلس العلمى بفاس، المغرب، د.ت.

(٢) السهيلى: عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى، ولد: ٥٠٨هـ، صاحب الروض الأنف في السيرة، وله من التصانيف: مسألة رؤية الله في المنام، توفى: ٥٨١هـ.
انظر: الذهبى، محمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، (٥٠٨/١)، تحقيق: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، د. ت، بتصرف.

(٣) القرطبى، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ط٢، (١٠٣/٢)، راجعه: محمد الحفناوى، خرج أحاديثه: محمود عثمان، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، بتصرف.

(٤) المصدر السابق، (١٠٣/٢).

(٥) البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى (الجامع المسند الصحيح)، ط٢، (٤٤/٩)، كتاب: التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاح الصبح، رقم الحديث (٧٠٤٧)، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

ثانيا: نسب إبراهيم - عليه السلام -:

هناك اختلاف جلى في نسب إبراهيم – عليه السلام – وخصوصا في اسم والده، إذ دار اختلاف بين أن يكون اسمه آزر كما هو صريح في القرآن أم يكون تارخ ؟ وعليه فقد انقسم المفسرون في أقوالهم على النحو التالي:

القول الأول: ما قاله ابن جرير الطبري من أن الراجح عنده أن اسمه آزر، ولعل له اسمان علمان أو أن أحدهما لقب والآخر علم. وهو على ذلك يرى أن كلمة آزر في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(الأنعام: ٧٤) تأتى مجرورة بالفتحة لأنه اسم أعجمى ويعرب بدلا من أبيه، وقد ذكر أن هناك قراءات أخرى كقراءة الحسن البصرى[١] وهى بالرفع على أنه منادى وقراءة السدى[٢] بالنصب على ان المعنى أتتخذ أصناما، ونقل عنه قوله أن آزر اسم صنم، وقد قال بعضهم

---

(١) هو الحسن بن يسار البصرى، أبو سعيد: تابعى، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك، ولد بالمدينة، وشب في كنف على بن أبى طالب، عظمت هيبته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، توفى بالبصرة سنة ١١٠هـ.
انظر: الزركلى، خير الدين بن محمود بن محمد بن على بن فارس: الأعلام، ط١٥، (٢٢٦/٢)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م، بتصرف.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدى: تابعى، حجازى الأصل، سكن الكوفة، قال فيه ابن تغرى بردى: صاحب التفسير والمغازى والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس، توفى سنة ١٢٨هـ.
انظر: الزركلى: الأعلام (٣١٧/١)، مرجع سابق، بتصرف.

إن آزر تعنى المعوج في لغتهم وهى أشد كلمة قالها إبراهيم – عليه السلام –[(١)].

<u>القول الثاني:</u> ما قاله القرطبي من أن اسمه آزر، وقد ذكر قول مجاهد أن آزر ليس أبيه وإنما هو اسم صنم، واسمه هو إبراهيم – عليه السلام – ابن تارخ بن ناخور بن ساروع[(٢)].

<u>القول الثالث:</u> قول ابن كثير وترجيحه أن يكون لأبى إبراهيم – عليه السلام – اسمان أحدهما لقبا، وعلل قول مجاهد والسدى من أن آزر اسم للصنم وقد غلب على اسم أبى إبراهيم – عليه السلام – لكثرة خدمته له[(٣)].

<u>القول الرابع:</u> ما قاله الفخر الرازى ورجح فيه أن آزر ما كان والد إبراهيم – عليه السلام – بل كان عما له فأما والده فهو تارح. والعم قد يسمى بالأب، بدليل أن أولاد يعقوب – عليه السلام – سمو إسماعيل بكون أبا ليعقوب[(٤)]، مع أنه كان عما له، ويحتمل أن آزر كان والد أم إبراهيم – عليه السلام – وهكذا قد يقال له أب[(٥)].

---

(١) الطبرى، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر: جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تفسير الطبرى)، (٧/٢٤٣)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ، بتصرف.

(٢) القرطبى، محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرج أبو عبد الله: الجامع لأحكام القرآن، ط٢ (٧/٢٢)، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ، بتصرف.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقى أبو الفدا: تفسير القرآن العظيم (٢/١٥٠)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ، بتصرف.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل) (البقرة: ١٣٣).

(٥) الفخر الرازى، محمد بن عمر بن الحسين الطرسانى أبو عبد الله: مفاتيح الغيب، (١٣/٣٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، بتصرف.

والراجح: أن اسم آزر أخبرنا القرآن به صراحة في آية سورة الأنعام المذكورة سابقا، ولحديث البخاري: قال رسول الله – ﷺ –: " يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصيني ؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أبى الأبعد، فيقول الله تعالى إنى حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ[1] فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار"[2].

ولا أري أنه اسم صنم، إذ كيف يعاقب الله تعالى صنما لا حول له ولا قوة يوم القيامة، وأن القرآن الكريم أورد في موضع آخر طريقة حوار إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه وكيف يناديه بقوله (يَٰٓأَبَتِ). قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾(مريم: ٤٢). فهل من الممكن أن يناديه باسمه هكذا ؟ ثم إن الله تعالى ذكر انه – عليه السلام – استغفر لأبيه حتى نهاه الله عن ذلك قال تعالى: ﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الشعراء: ٨٦).

ويمتد نسب إبراهيم – عليه السلام – إلى سام بن نوح – عليه السلام – فسلالة قومه من المسلمين الذين نجوا بعد الطوفان، واسم أمه (أميله) وقيل: اسمها بونا

---

(١) الذيخ ذكر الضباع وأراد بالتطلخ بالطين.
انظر: ابن منظور: لسان العرب (١٦/٣)، مرجع سابق، بتصرف.

(٢) البخارى، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله: الجامع الصحيح المسند من أمور الرسول – ﷺ – وسننه وأيامه، كتاب: الأنبياء، باب قوله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا)، حديث رقم (٣١٧٢)، دار الفكر العربى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

بنت كريتا بن كرثى بن أرفخشد بن سام بن نوح[١].

وأما من قال أن آزر لقب وليس اسمه أو هو صنم فلا دليل عليه سوى ما ذكر عند أهل الكتاب، وليس ما ذكر عندهم حجة لنا، بل القرآن هو الحجة لنا فى كل شئ، ومادام التصريح ظهر فكفى به دليلا، ولا يرد بأى قول والله أعلم. ومن ثم يتبين للباحثة أن اسم إبراهيم – عليه السلام – هو: إبراهيم بن آزر.

وترى الباحثة أن هذا الخلاف لا طائل تحته، لأنه خلاف صورى وليس جوهرى، ولا يترتب عليه أى أثر فى المدلولات الدعوية لسيدنا إبراهيم – عليه السلام –، ولا يؤثر على المنهج الدعوى ولا الموضوع النبوى لإبراهيم – عليه السلام –، وعروبة إبراهيم – عليه السلام – هى النسبة الأصح التى ينتسب إليها[٢].

ويلقب بـ (شيخ الأنبياء) و (أبى الأنبياء) لأنه كان رائد الدعوة النبوية فى العالم الإنسانى بأسره، ومنه تناسب الأنبياء وتتابعوا[٣].

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقى أبو الفدا: قصص الأنبياء، مكتبة الإيمان، المنصورة، د.ت، ص ١٠٢.

(٢) الأميرى، أحمد البراء: فقه دعوة الأنبياء فى القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، سورية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١٦٦.

(٣) العقاد، عباس محمود: إبراهيم أبو الأنبياء، دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٣١٤.

المطلب الثانى

حياة إبراهيم - عليه السلام -، مولده وقوميته، وابتلاءاته، وأنواعها، وفاته

أولا: مولد إبراهيم - عليه السلام -:

من حيث الزمان: فى تحديده خلاف بين العلماء، غير أن من المؤكد أنه عاش فى الفترة الواقعة بين عامى ٢٠٠٠ و ١٧٠٠ قبل الميلاد[١].

وأما من حيث المكان: فالمشهور من أقوال العلماء أنه ولد بالعراق، واختلفوا فى تحديد الأرض، فقيل: بأرض الكلدانيين ببابل[٢].

ويذهب بعضهم إلى أنه ولد بحاران، التى عد من إقليم العراق الأعلى فى منطقة الجزيرة، بين نهرى دجلة والفرات، وليست هى أور البابلية المشهورة فى جنوب العراق[٣].

لم يذكر القرآن الكريم مكان ولادة إبراهيم – عليه السلام –، وإنما ذكر مكان إقامته – عليه السلام – وإقامة لوط – عليه السلام – في الأرض المباركة، بعد أن دعا قومه فلم يستجيبوا له، فهاجر إليها، وذلك واضح من قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾(الأنبياء: ٧١).

واختلف المؤرخون في مكان ولادة إبراهيم – عليه السلام – وصحح

---

(١) مهران، محمد بيومى: دراسات تاريخية فى القرآن الكريم، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ١٢٣ – ١٢٧.

(٢) الوكيل، محمد السيد: نظرات فى أحسن القصص، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ١٤٦.

(٣) الأميرى، أحمد البراء: فقه دعوة الأنبياء فى القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ١٦٦.

ابن عساكر في تاريخه أن مولده ببابل[١][٢].

كان ميلاد إبراهيم – عليه السلام – في زمن النمرود، قال الطبرى: " والذى عليه عامة السلف أن مولده زمن نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن سام بن نوح[٣]، وإن صح نسبه فإن الملاحظ قلة الفارق الزمنى بين نوح وإبراهيم (عليهما السلام)، وأن إبراهيم – عليه السلام – من سلالة المؤمنين الذين نجوا من الطوفان الذى أهلك الله به قوم نوح الكافرين ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾(الصافات: ٧٧).

ثانيا: قومية إبراهيم- عليه السلام -:

وأما عن قومية إبراهيم – عليه السلام – يؤكد مهران أن إبراهيم – عليه السلام – كان من العرب العاربة وأن قومه قد خرجوا من الجزيرة العربية كجماعة من الجماعات السامية العديدة، وأنه – عليه السلام – هو أبو العرب العدنانيين الذين هم أبناء إسماعيل – عليه السلام –[٤].

---

(١) بابل: اسم ناحية من الكوفة، ويقال أول من سكنها نوح، وورد فيها قول الله تعالى: (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) (البقرة: ١٠١).
انظر: ياقوت الحموى، شهاب الدين بن عبد الله أبو عبد الله: معجم البلدان، (٣٠٩/٣)، تحقيق: فريد الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩١م، بتصرف.

(٢) ابن عساكر، تقى الدين على بن الحسن أبو القاسم: تاريخ دمشق، (١٦٤/٦)، تحقيق: عمر العمرى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، بتصرف.

(٣) الطبرى، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر: قصص الأنبياء، ط٢، تحقيق: جمال بدران، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص ١١٢.

(٤) مهران، محمد بيومى: تاريخ العرب القديم، دار المعرفة، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ٢٨٩ – ٢٩١.

كما يرى بعض العلماء منهم محمد رشيد رضا أن إبراهيم – عليه السلام – كان يتكلم العربية القديمة، التي هي قريبة من عربية جرهم، وكانت هي اللغة السائدة، وأن العبرية لهجة من لهجاتها[1].

ومما يؤكد هذا الكلام أن إبراهيم – عليه السلام – ذهب إلى مكة بعد أن شب ابنه إسماعيل– عليه السلام – وتحدث مع زوجته الجرهمية العربية وقد فهم كل منهما الآخر، وهذا مذكور في البخارى من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–: " انطلق إبراهيم ... فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يبتغى لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم، فقالت: نحن بشر نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام وقولى له يغير عتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئا، فقال: هل جاءكم من أحد ؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشئ ؟ قالت: نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول: غير عتبة بابك ؟ قال: ذاك أبى، وقد أمرنى أن أفارقك، الحقى بأهلك، فطلقها وتزوج منهم أخرى، فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد، فلم يجده، فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يبتغى لنا، قال: كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة، وأثنت على الله. فقال: ما طعامكم ؟ قالت: اللحم. قال: فما شرابكم ؟ قالت: الماء، قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال

---

(١) رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، (٥٣٥/٧)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م، بتصرف.

النبى – ﷺ –: " ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه قال: فهما لا يخلو عليهما – أي اللحم والماء – أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه[1]، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومريه يثبت عتبه بابه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد ؟ قالت: نعم أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه، فسألنى عنك فأخبرته، فسألنى كيف عيشا فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء ؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال ذاك أبى، وأنت العتبة أمرنى أن أمسكك ... "[2].

وترى الباحثة أن الشاهد في الحديث أن الزوجتان نقلتا الكلام بحرفيته باللغة العربية التي تتكلمانها، مع أنهما لم تفهما المراد من الكناية، وهو كناية عن تطليق الزوجة الأولى واستبقاء الثانية، ولو فهمت الأولى معنى الكلام لما أوصلته، وقد فهم إسماعيل – عليه السلام – المراد منها.

ثالثاً: ابتلاءاته وأنواعها:

مفهوم الابتلاء:

البلاء والابتلاء يلتقيان فى معنى الاختبار والامتحان، وهما اسمان من بلاه يبلوه وابتلاه، أى جربه، يقال: " بلوت الرجل بلوا وبلاء وابتليته: أى

---

(١) العسقلانى، أحمد بن على بن حجر: فتح البارى شرح صحيح البخارى، (٦/(١)٤٠٥)، تحقيق: عبدالعزيز بن باز ومحمد عبد الباقى، دار الحديث، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢) البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى، كتاب: الأنبياء، باب: يزفون وهو النسلان في المشى، (١٤٤/٤)، حديث رقم (٣١٨٤)، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

اختبرته، وبلاه يبلوه بلوا: إذا جربه واختبره "[1]، وبُلى فلان وابتُلى: إذا امتحن. والبلية والبلوى والبلاء واحد، والجمع البلايا، والابتلاء: الاختبار، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾(الأنبياء: ٣٥)، والمعروف أن الابتلاء يكون فى الخير وفى الشر معا.

وقال الفيروزآبادى: " وابتليته: اختبرته. وابتليت الرجل فأبلانى: استخبرته فأخبرنى، وامتحنته واختبرته، كبلوته بلوا وبلاء. والإسم: البلوى والبلية والبلاء: الغم كأنه يبلى الجسم، والتكليف بلاء، لأنه شاق على البدن أو لأنه اختبار[2].

وجاء فى لسان العرب: " وقال ابن الأعرابى: أبلى بمعنى أخبر، وابتلاه الله: امتحنه، والاسم: البلوى والبلوة والبلية والبلاء، وبُلىّ بالشئ بلاءً وابتُلىّ " [3].

ومما سبق تؤكد الباحثة على أن البلاء والابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان، وبمعنى مبالغة الجهد فى الأمر.

وقد ذكر الراغب الأصفهانى: " إن البلاء يكون منحة ويكون محنة، وذلك عندما زاد وجها ثالثا، فقال: " والثالث: أن اختبار الله تعالى لعباده تارة بالمسارّ ليشكروا، وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعا بلاء، فالمحن مقتضية للعبر والمنحة مقتضية للشكر، والقيام بحقوق

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، (٨٤/١٤)، مرجع سابق.
(٢) الفيروزآبادى، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، (٣٢٧/٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.
(٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، (٨٤/١٤)، مرجع سابق.

الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين[1]، ثم أورد أمثلة على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥)، وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ (البقرة: ٤٩)، راجع إلى الأمرين: إلى المحنة التى فى قوله تعالى: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ (البقرة: ٤٩)، ويستحيون أى يستبقون الإناث على قيد الحياة ويستخدمونهم للخدمة[2]، وإلى المنحة التى أنجاهم[3]، أى نجاهم الله تعالى من فرعون وقومه.

وقال القرطبى: البلاء يكون حسنا، ويكون سيئا، وأصله المحنة والله – عز وجل – يبلو عبده بالصنع الجميل ليمتحن شكره، ويبلوه بالبلوى التى يكرهها ليمتحن صبره، فقيل للحسن بلاء، وللسيئ بلاء[4].

وقد ابتلى الله تعالى إبراهيم – عليه السلام – بأنواع من الابتلاء، وامتحنه بضروب من الامتحان فصبر، وكان فى إيمانه قويا ثابتا، لم يتزعزع، ولم يضطرب، ولم يدخل إليه وهن أو ضعف، ولعل أشد هذه المحن عليه كان حين أمر بذبح ابنه، ولكن كان عبدا شكورا، طائعا لله تعالى، مذعنا لأوامر

---

(١) الأصفهانى، الراغب الحسين بن محمد بن الفضل: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودى، الدار الشامية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٤٥.

(٢) الطبرى، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر البغدادى: جامع البيان فى تأويل القرآن، ط٣، (١/ ٣١٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

(٣) الأصفهانى، مفردات ألفاظ القرآن، مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٤) القرطبى، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى: الجامع لأحكام القرآن، ط٥، (٢٦٣/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

ربه، ومن ثم جعله الله – عز وجل – أمة بمفرده، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٠ – ١٢٢]، وفى ذلك تتناول الباحثة لونين من ابتلاءاته.

أ) **<u>وفاء إبراهيم - عليه السلام - لله - عز وجل -:</u>**

من الاختبارات التى تعرض لها إبراهيم – عليه السلام – أن اختبره الله تعالى وابتلاه بتكاليف شرعية، وأوامر، فأتمها وقام بواجبها حق القيام، قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤]

قال الرازى: " حكى الله – عز وجل – عن إبراهيم – عليه السلام – أمورا توجب على المشركين، وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد – صلى الله عليه وسلم – والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه، وبيانه من وجوه [(١)]:

<u>أولا:</u> أن الله تعالى أمره ببعض التكليف، فلما وفى بها، وخرج عن عهدتها، لا جرم أن نال النبوة والإمامة. وهذا مما ينبه اليهود والنصارى والمشركين، على أن الخير لا يحصل فى الدنيا والآخرة إلا بترك التمرد والعناد، والانقياد لحكم الله تعالى وتكاليفه.

<u>ثانيا:</u> أنه تعالى قال له بعد أن طلب الإمامة لأولاده: ﴿ لاَ يَنَالُ عَهْدِي

(١) الرازى، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التميمى: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، (٤/٣١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

الظَّالِمِين ﴾ فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرياسة فى الدين لا يصل إلــى الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب، وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب للباطل.

ثالثا: أن من المفسرين من فسر الكلمات التى ابتلى الله تعالى إبراهيم – عليه السلام –بها بأمور ترجع حاصلها إلى تنظيف البدن، وذلك مما يوجب على المشركين اختيار هذه الطريقة، لأنهم كانوا معترفين بفضل إبراهيم– عليه السلام – ويوجب عليهم ذلك ترك ما كانوا عليه من التلطخ بالدماء وترك النظافة.

وقال ابن كثير لما وفى إبراهيم – عليه السلام – ما أمره ربه به من التكاليف العظيمة جعله للناس إماما يقتدون به ويأتمون بهديه، وسأل الله أن تكــون هذه الإمامة متصلة بسببه، وباقية فى نسبه وخالدة فى عقبه، فأجيب إلى ما سأل وسلمت إليه الإمامة بزمام، واستثنى من نيلها الظالمون، واختص بها من ذريته العلماء العاملون[1]، كما قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِين ﴾ [العنكبوت:٢٧].

ومما سبق تؤكد الباحثة على أن الله تعالى اختبــر إبــراهيم – عليه السلام – بتشريعات فأتمها على وجهها الصحيح، فكان جزاؤه أن الله جعلــه للنــاس إماما، فكأن الله تعالى قد ائتمنه على الدين فجعله إماما للناس.

(١) ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير الدمشقى: قصص القرآن، جمعه ورتبه أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، ميدان الأزهر، القــاهرة، ٢٠٠٣م، ص ١١٣.

ب) ابتلاء إبراهيم - عليه السلام - بذبح ابنه إسماعيل – عليهما السلام -:

لما شب إسماعيل – عليه السلام – وأطاق السعى والعمل، رأى والده الخليل – عليه السلام – فى المنام أنه يذبحه، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " رؤيا الأنبياء وحى "[1] ففهم الإشارة، وعرف المراد، فعزم على تنفيذ أمر الله تعالى، ولم يثنه عن عزمه أنه ابنه الذى لا ابن له سواه فى ذلك الحين.

ففتنة إثر فتنة، ومحنة تتلوها محنة: شيخ هرم، جالد الأيام، وعرك الدهر، واحنته السنون، قد كان طول حياته يأمل الولد، حتى إذا بلغ من الكبر عتيا، رزقه الله بغلام وحيد: قرت به عينه، ثم أمر بأن يسكنه بواد غير ذى زرع، ويتركه وأمه فى مكان قفر، ليس له به حسيس ولا أنيس، وامتثل لأمر الله، وتركهما هناك ثقة بالله، وإطاعة لأمره، فجعل الله لهما من ضيقهما فرجا ومخرجا، ورزقهما من حيث لم يحتسبا، ثم يؤمر بذبح الولد العزيز، فهذه المحنة تنوء بها الجبال الراسيات، ولكن العظائم كفؤها العظماء، فعلا قدر إبراهيم وعلت منزلته وعلى ذلك يكون ابتلاءه واختباره "[2].

---

(١) البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى (الجامع المسند الصحيح)، كتاب: مواقيت الصلاة، باب: وضوء الصبيان ومتى يجب عليه الغسل، (١/١٧١)، حديث رقم (٨٥٩)، دار المنار، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٢) جاد المولى، محمد أحمد وآخرون: قصص القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.

قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ. كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصافات: ١٠١-١١١].

وقال الألوسى: " وإنما شاوره فى ذلك وهو حتم، ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله – عز وجل –، فيثبت قدمه إن جزع، ويأمن عليه إن سلم، وليوطن نفسه عليه، فيهون عليه ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله تعالى، قبل نزوله، وليكون سنة فى المشاورة "[١]. إنها العبودية لله تعالى على أكمل صورها من الأب والابن معا، الأب يصمم على تنفيذ أمر ربه، والابن يبادر بالطاعة، ويكون عونا على تنفيذ أمر الله تعالى، يقول تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ [الصافات:١٠٢]

دروس وعبر من قصة ذبح إسماعيل - عليه السلام - [٢]:

١- إن الله تعالى يبتلى عباده الصالحين، الذين أحبهم فيعرضهم للمحن لا لينتقم منهم، بل لأنه يحبهم، ولا يدرك هذا إلا المؤمنين.

---

(١) الألوسى، أبو الفضل شهاب الدين البغدادى: روح المعانى فى تفسير القرآن والسبع المثانى، (١٢/١٢٣)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

(٢) أبو فارس، محمد عبد القادر: الابتلاء والمحن فى الدعوات، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٦، ص ٣١ – ٣٥.

٢- أمر الله تعالى لا يتقدم عليه أمر: إن المسلم لا يقدم بين يدى الله ورسوله، بل ينصاع إلى الأمر، وينقاد له، ويرضى به، وإن كان مؤلما لنفسه، محزنا لقلبه، وكذلك حب الله تعالى يتقدم على حب كل شئ، يتقدم على حب الولد، وحب النفس، وحب المال، وحب الأهل، وحب الناس والدنيا أجمعين، وهكذا كان موقف إبراهيم – عليه السلام – فى هذا الابتلاء يقدم أمر الله تعالى على كل أمر.

٣- ثمرة حسن التربية: لقد ربى إبراهيم – عليه السلام – ولده إسماعيل على تقوى الله – عز وجل – ولزوم طاعته فى كل أمر من الأمور، ولما أمره ربه بذبح إسماعيل لم يجد ممانعة منه، أو عصيانا، بل استسلم للأمر.

٤- إن الذى يعيش لله لن يتخلى عنه: هذه الحقيقة ينبغى أن تنتقش فى قلب كل مؤمن ومؤمنة، كما نقشت فى قلب إبراهيم – عليه السلام – ترى حين صمم إبراهيم – عليه السلام – على ذبح ولده امتثالا لأمر الله، هل كان يتوقع أن يفدى الله ولده بكبش عظيم ؟ لقد كان ذلك مفاجأة لم يتوقعها، ومكافأة لم تدر بخلده.

٥- إن طريق الدعوات ليس هينا لينا، واستجابة النفوس للدعوات ليست قريبة يسيرة، فهناك ركام من الباطل والضلال والتقاليد والعادات، والظلم الجاثم على القلوب، ولابد من إزالة هذا الركام.

رابعا: **وفاته** - عليه السلام -:

ذكر الطبرى[1] والمسعودى[2] وابن الجوزى[3] أن إبراهيم – عليه السلام – توفى بالشام عن عمر بلغ مائتى سنة، وقيل: مائة وخمس وسبعين سنة.

وقد دفن – عليه السلام – عند قبر زوجته سارة ببلدة تسمى (مزرعة حبرون) المعروفة اليوم (بالخليل) فى دولة فلسطين[4] وهذا الخبر كما يقول الإمام ابن كثير متلقى بالتواتر[5].

ويبين ابن كثير أن فى تعيين قبره من بين القبور ليس فيه خبر صحيح، ولكن يدعو لاحترام هذه القبور، ولا يداس عليها كى لا يداس على قبره أو قبور أبنائه إن ثبت ذلك[6].

---

(١) الطبرى، محمد بن جرير: تفسير الطبرى المسمى (جامع البيان فى تأويل آى القرآن)، (٣١٢/١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، د.ت.

(٢) المسعودى، أبو الحسن على بن الحسن: مروج الذهب ومعادن الجوهر، (٤٦/١)، ط٥، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٣هـ.

(٣) ابن الجوزى، جمال الدين أبو الفرج: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، (٣٠٣/١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

(٤) ياقوت الحموى، شهاب الدين أبو عبد الله: معجم البلدان، (٢١٢/٢)، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

(٥) ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقى: قصص الأنبياء، (٢٥٢/١)، مطبعة دار التأليف، القاهرة، د.ت.

(٦) ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر الدمشقى: البداية والنهاية، (١٧٥/٢)، تحقيق: أحمد فتيح، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

المبحث الثانى

دين إبراهيم - عليه السلام -وصفاته

المطلب الأول

دين إبراهيم - عليه السلام -

الحنيفية دين إبراهيم – عليه السلام –، وردت الحنيفية في القرآن الكريم اثنتى عشرة مرة باختلاف لفظها بالإفراد أو الجمع واقترنت في ثمان منها بإبراهيم – عليه السلام –(1).

ويظهر من القرآن الكريم تنازع طوائف مختلفة على إبراهيم – عليه السلام – في حقيقة دينه الذى كان عليه، كاليهود والنصارى والعرب، فزعم اليهود أن إبراهيم كان يهوديا، لأنهم أبناء إسحاق ولد إبراهيم – عليه السلام –، وزعمت النصارى أن إبراهيم – عليه السلام – كان نصرانيا، وادعت نسب عيسى له من ناحية أمه التي ترجع لإبراهيم – عليه السلام –(2). وأما العرب فادعوا أنهم على دين إبراهيم – عليه السلام – الحنيفية، لزواج إسماعيل من قبيلة جرهم العربية التي قطنت عندهم بعد حادثة زمزم، ولكن الله أبطل ودحض افتراءات اليهود والنصارى، ورد عليهم فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ

(1) عبد الباقى، محمد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٢٧٠.

(2) الخالدى، صلاح: القصص القرآنى عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص٤٥٠ بتصرف.

أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ... ﴾ (البقرة: ١٣٠ – ١٤٠)، فقد بين الله زيف دعواهم بقوله تعالى: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ ٱلسَّمِيعُ .. ﴾ (البقرة: ١٣٣) والاستفهام للتوبيخ، أي كيف تقولون ذلك وأنتم تنسبون لإبراهيم ما كان وصيته خلاف ما يدعون، وبقيتم على اليهودية والنصرانية، أم شهدتم يعقوب وعلمتم بوصيته فتدعون عن علم ؟ وأنتم لم تشهدوا، بل هو زيف وافتراء(١).

بل ويصل الأمر بهم لأن يحاجوا مع رسول الله – ﷺ – في إبراهيم – عليه السلام –، وقد أخبر الله عنهم بذلك في قوله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (آل عمران: ٦٥ – ٦٨) وقد نزلت في نصارى نجران وأحبار اليهود حين اجتمعوا عند رسول الله – ﷺ – فتنازعوا عنده فقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيا، وقالت اليهود: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وفى الآية نداء من الله موجه لأهل الكتاب، لإعمال العقل لديهم، فخاطبهم بما يفحمهم،

---

(١) القرطبى، محمد بن أحمد الأنصارى أبو عبد الله: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)، ط٢، (١٤٣/٢)، راجعه: محمد الحفناوى، خرج أحاديثه: محمود عثمان، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

إذ كيف تزعمون أنه كان يهوديا أو نصرانيا وزمانه قبل نزول التوراة والإنجيل ؟ بل إن الله أثبت في كتابه خلاف دعواهم، وهو أن إبراهيم – عليه السلام – كان متحنفا عن الشرك قاصدا إلى الإيمان، وأولى الناس به من اتبع ملته على الحقيقة لا القول وهو رسول الله – ﷺ –، ومن اتبع نبى الله محمد – ﷺ – وهم المؤمنون[1].

وأمر الله تعالى نبيه محمد – ﷺ – وأمته باتباع ملة إبراهيم – عليه السلام – فقال تعالى:﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (النحل: ١٢٣)، وقال تعالى أيضا: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (آل عمران: ٩٥).

وقال ابن كثير: " أي اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد – ﷺ – فإنه الحق الذى لا شك فيه ولا مرية، وهى الطريقة التي لم يأتي نبى بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم "[2].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(الأنعام: ١٦١) ولذا كان من دعاء النبى – ﷺ – إذا قام إلى الصلاة: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الأنعام: ٧٩].

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقى أبو الفدا: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) (٢/٣٤- ٣٥)، تحقيق: محمد الألبانى، خرج أحاديثه: محمود الجميل، وليد سلامة، خالد عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، بتصرف.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، (٢/٤٦)، المرجع السابق.

(وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين)[١]، وكان من قوله – ﷺ – إذا أصبح وإذا أمسى: " أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد – ﷺ – وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين "[٢]. وتوجه إبراهيم – عليه السلام – إلى ربه بعد أن حاور من قومه عبدة الكواكب فقال: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِين ﴾ [الأنعام:٧٩] أى: " أخلصت دينى، وأفردت عبادتى للذى فطر السماوات والأرض، أى خلقهما وابتدعهما على غير مثال سابق، حنيفا أى فى حال كونى حنيفا، أى مائلا من الشرك إلى التوحيد "[٣].

ووصفه الله تعالى في كتابه بأنه حنيفا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ

---

(١) النيسابورى، أبو الحسن بن الحجاج: صحيح مسلم: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامها، رقم الحديث (١١٩٠)، دار مطابع الشعب، القاهرة، د.ت، ص ٧٢١.

(٢) الشيبانى، مسند الإمام. مسند أحمد بن حنبل: مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، رقم الحديث (١٥٣٦٠)، قال عنه الأرناؤود: إسناده صحيح على شرط الشيخين (٧٧/٢٤)، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٣) مسلم، الحافظ أبى الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى: صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامها، (٧٢١/١)، حديث رقم (١١٩٠)، بيت الأفكار الدولية، بيروت، ل بنان.

كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (النحل: ١٢٠)

قال الطبرى: " وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش أن إبراهيم منهم برئ وأنهم منه براء " شاكرا لأنعمه ". يقول: كان يجلس لشكر لله فيما أنعم عليه، ولا يجعل معه في شكره في نعمة عليه شريكا من الآلهة والأنداد وغير ذلك، كما يفعل مشركو قريش "[1].

مما سبق تؤكد الباحثة أن الإسلام هو الدين الذى كان عليه الأنبياء، وإن اختلفت شرائعهم، وأنهم إليه دعوا وعلى رأسهم أبو الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – فدينهم واحد لقوله – ﷺ –: " أنا أولى الناس بعيس بن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد "[2].

---

(١) الطبرى، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر: جامع البيان عن تأويل آى القرآن (تفسير الطبرى)، (٦٥٩/٧)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.

(٢) البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) رقم الحديث (٣٤٤٣)، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ٦٦٣.

المطلب الثاني

صفات إبراهيم - عليه السلام -الخلقية والخُلُقية

ذكر القرآن الكريم صفات تميز إبراهيم – عليه السلام – ويحسن للمرء المؤمن أن يقتدى بها في حياته، متأسيا بأنبياء الله، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ (الأنعام: ٩٠)، والتأسى بإبراهيم – عليه السلام – في صفاته وأخلاقه النبيلة، وبين القرآن الكريم أن لنا في إبراهيم – عليه السلام – قدوة حسنة، فقال تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾(الممتحنة: ٤)، ولذا جمعت الباحثة صفات إبراهيم – عليه السلام – من القرآن الكريم ما استطاعت إلى ذلك وذلك على النحو التالى:

من صفات إبراهيم – عليه السلام – الخلقية قول النبى – ﷺ –: " أتانى الليلة آتيان، فأتينا على رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا، وإنه إبراهيم – عليه السلام –[1]، وهذا يدل على عظم هيئة إبراهيم – عليه السلام –.

كذلك من صفاته الخلقية أنه في الصحيح عن مجاهد أنه سمع ابن عباس (رضى الله عنهما) وذكروا له الدجال بين عينيه مكتوب كافر أو (ك. ف. ر) قال: لم أسمعه، ولكنه قال – ﷺ –: " أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم ... "[2] وذكر ابن حجر في الفتح أن النبى – ﷺ – أشار بذلك إلى

---

(١) البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى (الجامع المسند الصحيح)، ط٢، باب قوله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا) كتاب: التفسير رقم الحديث (٣٣٥٤)، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٩هـ.

(٢) المرجع نفسه.

نفسه، فإنه - ﷺ - كان أشبه الناس بإبراهيم - عليه السلام -[1].

أما عن صفاته الخُلُقية فقد ذكر في القرآن الكريم آيات كثيرة عن خُلق إبراهيم - عليه السلام -، وقد أثنى عليه - عز وجل -، بل وأنزل الله - عز وجل - سورة كاملة باسمه - عليه السلام -، وبين الله فى كتابه أن لنا فى إبراهيم - عليه السلام - قدوة حسنة، فقال جل وعلا:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [الممتحنة:٤]، ولذا جمعت صفات إبراهيم - عليه السلام - الخلقية على كثرتها فى الكتاب والسنة ما استطاعت إلى ذلك سبيلا؛ لتكون عونا للاقتفاء والاقتداء بها، ومنها ما يلى:

١- **كونه أمة وقانتا وحنيفا:**

وصف الله تعالى خليله بأنه أمة وقانتا وحنيفا وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: ١٢٠ – ١٢١).

" كان أمة " أي: رجلا جامعا للخير، خاشعا لله، ملتزما صراطه المستقيم لا الصراط المعوج صراط المشركين[2]، ولما سئل ابن مسعود - رضي الله عنه - ما الأمة ؟ قال: الذى يعلم الناس الخير، قالوا: فما القانت ؟ قال:

(١) العسقلانى، أحمد بن على ابن حجر: فتح البارى شرح صحيح البخارى، (٤٧١/٦)، دار السلام، الرياض، ١٤٢١هـ.

(٢) حوارى، محمد بن حامد: دعوة من جامع الأحكام من تفسير الإمام القرطبى، (٢٧٩/٣)، دار طيبة، دمشق، ١٤٢٨هـ، بتصرف.

الذى يطيع الله ورسوله[1]. وحنيفا: الحنيف هو المقبل علـــى الله – ﷻ –، ويلزم هذا المعنى ميله عما سواه، فالميل لازم لمعنى الحنف.

و﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فلم يشرك بالله شيئا ولم يسجد لصنم ولا لحجر، وكان ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ وشكر النعم مبنى على أركانـــه هـــي: الإقـــرار بالنعمة وإضافتها إلى المنعم بها، وصرفها في مرضاته، والعمل فيها بمـــا يحب، ولا يكون العبد شاكرا إلا بهذه الأمور الثلاثة، وقد اجتمعت في سيدنا إبراهيم – عليه السلام – فاستحق قوله تعالى: ﴿ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أي اختاره الله – ﷻ – وأنار طريقه، وهداه إلى سواء السبيل[2].

٢- **الوفاء التام:**

أثنى الله تعالى على نبيه، ووصفه بالوفاء، فقال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ (النجم: ٣٧) أي: تمم وأكمل ما أمر به، قال الحسن: عمل ما أُمـــر به، وبلغ رسالات ربه إلى خلقه، وقال مجاهد: وفَّى بما فرض عليه "[3].

٣- **سلامة القلب يُكثر التأوه والدعاء:**

ومن صفات إبراهيم– عليه السلام – أيضا سلامة القلب، كما وصفه الله تعالى

---

(١) الصالحى، على الحمد المحمد: الضوء المنير على التفســير، (٤/٨٠)، مؤسســة النور بالتعاون مع مكتبة السلام، الرياض، د.ت، بتصرف.

(٢) البغوى، أبو محمد بن مسعود: معالم التنزيــل، (٤/٢٣١)، دار الكتــب العلميــة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

(٣) الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريــب القــرآن، تحقيق: محمد كيلانى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٢٣٩.

بذلك فقال: ﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴾(الصافات: ٨٤) والسلامة هي التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة، قال القاسمى: أى أقبل إلى توحيده بقلب خالص من الشوائب باق على الفطرة سليم عن النقائص والآفات محافظ على عهد التوحيد الفطرة منكر على من غير وبدل.

ونبى الله إبراهيم أقبل على الله تعالى بقلب يوحده ويعظمه، بعيد عن الشوائب، خالص من العيوب، دائم على الفطرة[1].

وكان – عليه السلام – يكثر التأوه والدعاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴾(هود: ٧٥)

فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كان من حلمه أنه إذا آذاه الرجل من قومه قال له: هداك الله[2].

٤- **سخيا كريما يطعم الضيف:**

تعد صفة السخاء والكرم أجمل الصفات وأنبلها، وقد أثبت الله لإبراهيم – عليه السلام – هذه الصفة عند مجئ الملائكة له وإكرامه لهم بعجل سمين قال تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ

(١) الرازى، أبى حاتم عبد الرحمن بن إدريس: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبى حاتم الرازى)، (٢٠٥٨/٦٩)، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

(٢) الخفاجى، شهاب الدين بن أحمد: حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضى (٤٨٣/٨)، تحقيق: عبد الرازق المهدى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، بتصرف.

قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٤ – ٢٧).

٥- **الصبر:**

ومن صفاته – عليه السلام – التي تميز بها الصبر، قال تعالى لنبينا محمد – ﷺ –: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (الأحقاف: ٣٥) وألوا العزم هم المتصفون بالثبات والجد. وقيل: الصابرون على البلاء، وإبراهيم – عليه السلام – واحد من أولى العزم الخمسة الذين أثنى الله – عز وجل – عليهم[1].

٦- **الشجاعة والجرأة:**

ومما يدل على ذلك كسره الأصنام، وقد كان إبراهيم – عليه السلام – صارما مجدا في إظهار الحق الذى هو التوحيد قولا وفعلا وفى ذلك قال تعالى: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾(الأنبياء: ٥٧ – ٥٨).

٧- **الرشد:**

ومن صفاته – عليه السلام – أنه كان رشيدا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) ﴾ (الأنبياء: ٥١) والرشد هو الاهتداء لوجوه الصلاح ومعرفة طرق الخير، فحددت الآية الرشد الذى كان لإبراهيم

(١)الزحيلى، وهبة بن مصطفى: التفسير المنير، ط٢، (٧٦/١٧)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ، بتصرف.

– عليه السلام – قبل النبوة فقد هداه الله وهو صغير، وعلم بطاعته وتوحيده لـــه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي علم الله أهلية إبراهيم– عليه السلام – للرشد والنبوة قبل بلوغه[1]. ومن الرشد الظاهر فى شخصيته أنه كثير الندم على معاصيه وإن صغرت، شديد الحليم على من يخطئ معه مع عظم الخطأ ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيم ﴾ [التوبة:١١٤]، وليس هذا فحسب بل إنه أيضا دائم التوبة والرجوع إلى الله ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيب﴾ [هود:٧٥].

جاء فى مفاتيح الغيب: قال الرازى فى مفاتيح الغيب وهذا مدح عظـــيم من الله تعالى لإبراهيم – عليه السلام –، أما الحليم فهو الذى لا يتعجـــل بمكافـــأة غيره، بل يتأنى فيه فيؤخر ويعفو، ثم ضم ذلك إلى ما له تعلق بالحلم وهو قوله: (أواه منيب) لأن من يستعمل الحلم فى غيره فإنه يتـــأوه إذا شـــاهد وصول الشدائد إلى الغير، فلما رأى مجئ الملائكة لأجل إهلاك قـــوم لـــوط، عظم حزنه بسبب ذلك، وأخذ يتأوه عليه، فلذلك وصـــفه الله تعـــالى بهـــذه الصفة، ووصفه أيضا بأنه منيب، لأن من ظهرت فيه هذه الشفقة العظيمـــة على الغير، فإنه ينيب ويتوب، ويرجع إلى الله تعالى فى إزالة ذلك العـــذاب، ومن باب أولى صون النفس عن الوقوع فى عذاب الله بالتوبة والإنابة[2].

ويقول محمد رشيد رضا: وهو أنه كـــان حليمـــا لا يُحـــب المعاجلـــة

---

(١) مقاتل بن سليمان، أبو الحسن: تفسير مقاتل بن سليمان: تحقيـــق: أحمـــد فريـــد، (٣٦١/٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م، بتصرف.

(٢) الفخر الرازى، محمد بن عمر بن الحسين الطبرستانى: مفاتيح الغيب (١٨/٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

بالعقاب، كثير التأوه مما يسوء ويؤلم، منيب يرجع إلى الله فى كل أمر[1].

ولم تكن هذه الصفة لتوجد إلا فى قلب سليم كما أخبر عنه المولى – عز وجل –: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٣-٨٤]، قال السيوطى: القلب السليم هو القلب الخالى من الشك فى الله، والشرك به، ويشهد بأنه لا إله إلا هو [2].

٨- **أبو الأنبياء:**

ورد فى القرآن الكريم أن الله – عز وجل – جعل النبوة فى ذرية (إبراهيم عليه السلام) فى قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام:٨٤] وقال أيضا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت:٢٧] فالآيات السابقة تظهر أن الله شرف نبيه إبراهيم – عليه السلام – جزاءً له على طاعته لربه، وإخلاصه بالتوحيد له، واعتزال قومه المشركين بالله، بأن خص ذريته بالنبوة فليس نبى بعده إلا وهو من ذريته [3].

---

(١) رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، (١٢/١٠٩)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

(٢) السيوطى، جلال الدين عبد الرحمن: الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، (٢/٢٥٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

(٣) الطبرى، محمد بن جرير: جامع البيان فى تأويل آى القرآن، (٥/٢٥٦)، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. =

ولهذا يلاحظ أن الله رزقه إسحاق ورزق ابنه إسحاق يعقوب الذى هو والد الأسباط، ومنهم أنبياء بنى إسرائيل، وختم إسحاق بعيسى بن مريم، وإسماعيل البكر هو أحد أجداد النبى محمد – ﷺ – فى النسب إليه(١)، ويدعم أبوة إبراهيم – عليه السلام – قوله – ﷺ –: " فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه، قال: فسلمت عليه ... "(٢).

بل إن نبى الله إبراهيم – عليه السلام – هو أب للمسلمين أيضا، يتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ [الحج:٧٨] وفى حديث ابن عباس: كان النبى – ﷺ – يعوذ الحسن والحسين ويقول: " إن أباكم كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة "(٣).

= ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، (١٧٨/٣)، تحقيق: محمد الألبانى، خرج أحاديثه: محمود الجميل، وليد سلامة، مكتبة الصفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١) ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر: قصص الأنبياء، تحقيق: عصام الدين الصبابطى، دار الفجر، القاهرة، د.ت، ص ١٣٩.

(٢) البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى، (٥٢/٥)، حديث رقم (٣٨٨٧)، كتاب: مناقب الأنصار، باب: المعراج، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٣) البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى، (٢٤٧/٤) كتاب التفسير حديث رقم (٣١١١)، باب: قوله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا) كتاب: أحاديث الأنبياء، مرجع سابق.

المبحث الأول

القصة القرآنية ومميزاتها

القصة من أبرز الأساليب القرآنية فى شرح الإسلام، وبيان رسالته، ومزج تعاليمه فى القلوب، فقد كانت تاريخا للأمم، والشعوب الأولى وأخبار الأنبياء والرسل.

وسوف يتناول هذا المبحث القصة القرآنية لغة واصطلاحا، والفرق بين القصة القرآنية وغيرها من القصص، وخصائصها وأغراضها.

المطلب الأول

المفهوم اللغوى والاصطلاحى للقصة القرآنية

أولا: القصة لغة:

القصة: "الخبر، وهو القصص، وقص على خبره يقصه قصا: أورده"[(١)].

ومنه: القصُّ، وهو تتبع الأثر، والقصص:الأثر، والقصص: الأخبار المتتبعة[(٢)].

والقصص: جمع للأخبار المقصوصة، بالفتح، ووضُع موضع المصدر حتى أغلب عليه، والقِصص بكسر القاف: جمع القصة التى تكتب[(٣)].

---

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، مادة: قصص، (٧/٧٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ.

(٢) الأصفهانى، الراغب الحسين بن محمد بن الفضل: المفردات فى غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلانى، بيروت، لبنان، د.ت، ص٦٧١.

(٣) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، مادة: قصص، (٧/٧٣ – ٧٤)، مرجع سابق.

وقال ابن فارس(1): " ومن ذلك اشتقاق القصاص فى الجراح، وذلك أنه يفعل به مثل فعله بالأول فكأنه اقتص أثره"(2) وورد لفظ القصة بمعنى الخبر والأمر والشأن والحكاية، يقال ما قصتك أى ما شأنك، والجمع قِصص وقصص(3) كما فى قوله تعالى: ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف: 176] وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[القصص:25] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر:78]، وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف:3] " والقصص: الخبر المقصوص، بالفتح، وضُيع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقِصص بكسر القاف: جمع القِصة التى كتب "(4).

---

(1) أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى الرازى، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، توفى عام 395هـ، من تصانيفه " المجمل " و " الصاحبى " فى علم العربية، وما مع التأويل فى تفسير القرآن.
انظر: الزركلى، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس: الأعلام، ط15، (193/1)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.

(2) الرازى، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى: مقاييس اللغة، (11/5)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1399هـ/1979م.

(3) الفيومى، أحمد بن محمد بن على القرى: المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 301.

(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، (3651/5)، تحقيق: عبد الله على الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت.

ومن خلال المعانى اللغوية السابقة يتبين للباحثة أن القصة فى أصلها اللغوى مأخوذ من القصّ وهو اقتفاء الأثر وتتبعه، كما تأتى بمعنى الشأن والأمر والخبر وهذا ما نحن بصدده فى هذا البحث.

ثانيا: القصة اصطلاحا

" هى الإخبار عن قضية ذات مراحل، يتبع بعضها بعضا "(١) وهذا التعريف يضم القصة القرآنية وغيرها من القصص الأدبية، لكن العلماء قد أفردوا للقصص القرآنى تعريفات خاصة، وذلك كما يلى:

- عرف الإمام الرازى القصص على أنها " مجموع الكلام المشتمل على ما يهدى إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة "(٢)، وواضح أن هذا التعريف يتضمن القصة القرآنية لكنه لا يحترز عن غيرها من خطب دينية، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وغيرها من الكلام الهادف إلى الهداية والإرشاد.
- وقد عرفها الخطيب بقوله: " أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدّث به من أخبار القرون الأولى فى مجالات الرسالات السماوية، وما كان يقع فى محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام "(٣).

---

(١) العثيمين، محمد بن صالح: أصول التفسير، دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص ٦٧.

(٢) الرازى، فخر الدين محمد بن عمر التميمى: مفاتيح الغيب، (٧٤/٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٣) الخطيب، عبد الكريم: القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص ٤٠.

- بينما عرف القطان قصص القرآن بأنها " إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة، وقد اشتمل على كثير من وقائع الماضى، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه "(١).
- وعرفت السباعى القصة بأنها " تتبع آثار وأخبار الأمم الماضية وإيراد موقفهم وأعمالهم وبخاصة مع رسل الله إليهم، مع إظهار آثار الدعوات فيهم وذلك بأسلوب حسن جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة "(٢).

وتؤكد الباحثة على أن تعريف السباعى تعريف ملائم للقصة وهو التعريف الذى ترجحه على سائر التعريفات السابقة وذلك لسببين:

الأول: أنه يشترك مع التعريفات السابقة فى كون القصص حديث عن الأمم الماضية والنبوات السابقة ووصف أخبار السابقين وأعمالهم.

الثانى: أنه يركز على مواطن العبرة والعظة، وهو الهدف الرئيسى من سوق القصص القرآنى، وذلك للاستفادة من تلك الأخبار فى الحاضر فى مجال استشراق الأمل فى المستقبل، على اعتبار أن ما يجرى اليوم بين الباطل والحق إنما هو سنة من سنن الله ماضية فى الآخرين كما مضت فى الأولين، وأن العاقبة ستكون هلاك للكافرين وتمكين المؤمنين الموحدين.

---

(١) القطان، مناع: مباحث فى علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، د.ت، ص ٣٠٠.

(٢) السباعى، مريم عبد القادر: القصة فى القرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، ١٩٨٧م، ص ٣٠.

المطلب الثانى

الفرق بين القصة القرآنية وغيرها من القصص

القصص القرآنى كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن فهو وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدى التاريخ من وثائق[1]. وتؤكد الباحثة على أن القصة القرآنية بما تحتوى من أحداث تاريخية " لبنة من لبنات الحقيقة المطلقة "[2] وعليه فلا مجال فيها إلى الخرافة أو التهويل أو التزوير أو البعد عن الحقيقة لأنها من كلام الله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

وتري الباحثة على أن العمل القصصى يقوم على محورين: إما الشخصية وإما الحدث"[3] وهناك فرق بين القصة التاريخية والقصة القرآنية فى مدى تركيز كل منهما على الشخصية أو الحادثة معتبرا أن القصص التاريخى تغلب الشخصية فيه على الحدث فيكون الشخص هو محور الحركة فى القصة "[4]. أما القرآنية: فقد وازنت بين الشخصية والحدث ووزعت المشاهد القصصية توزيعا عادلا محكما " فلا تجد موقفا من المواقف تستأثر به الشخصية وحدها أو الحادثة وحدها[5]. ولكن هل الشخصية فى القصة

---

(١) الخطيب، عبد الكريم: القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه، ط٢، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٠.

(٤) المرجع نفسه، ص ٤١.

(٥) المرجع نفسه، ص ٤١.

القرآنية مقصودة لذاتها أم للدور المنوط بها ؟ والظاهر أن الأشخاص فى القصة القرآنية أيا كانوا ليسوا مقصودين لذاتهم من حيث هم أشخاص تاريخيون يراد إبراز معالمهم، وإنما يعرض القرآن الكريم ما يعرض من شخصيات كنماذج بشرية فى مجال الحياة الخيرة أو الشريرة، فالأشخاص فى القصص القرآنى دورهم شاهد من شواهد الإنسانية فى قوتها أو ضعفها[1].

وعليه ترى الباحثة أن القصة القرآنية مجالها: الأحداث والوقائع أولا ثم الشخصيات التى تلبست بها أو لابستها الأحداث ثانيا لأن مناط العبرة والعظة إنما هو الحدث[2]، وهذا يعنى أن الأحداث أيضا غير مقصودة بذاتها إلا بما يحقق العبرة والعظة، وعلى هذا نفهم منهج القرآن فى العرض القصصى حيث لم يهتم بعرض أحداث تاريخية تفصيلية بقدر اهتمامه بعرض مواقف تاريخية لم يراع فيها السرد التاريخى ليحقق الهدف الأساسى من القصص القرآنى وهو العبرة والعظة.

إن القصة القرآنية فيها الخصائص الفنية الكاملة رغم أنها قصة دينية غرضها الدين، ولكن مع ذلك فهى تحفظها بالخصائص الفنية كأى قصة فترى العناصر التى يجب أن تتوفر فى القصة متوفرة فى القصص القرآنى كالشخصية والحوار والحدث والتشويق والموضوع، نرى ذلك كله فى القصص القرآنى كما نراه فى القصة المعاصرة إلا اختلافا واحدا، وهذا من ناحية العناصر وأما من ناحية الشكل فقد اتفق الأدباء والنقاد والمحدثون والكتاب المعاصرون على أن القصة من حيث الشكل تنقسم إلى قسمين:

---

(١) الخطيب، القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٣.

قصة طويلة وقصة قصيرة[1].

الفرق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية:

قال تعالى: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود:١٢٠] يقص الله تعالى علينا من أبناء الرسل والصالحين، ما به تتبين الحقائق، وتقوم البراهين على التوحيد[2]، عكس القصص الأدبى الذى مقصده إظهار القدرات الأدبية التى لا تعنى إلا بطبقتها، دون أن تراعى كافة شرائح القدرات الذهنية، لذلك نجد أن هناك فوارق بين القصة القرآنية والقصة الأدبية منها ما يلى:

١- المصدر: القصة القرآنية مصدرها ربانى، إذ هو منزل من عند الله تعالى، وفى القصة الأدبية المصدر بشرى فهو من نتاج مؤلفين[3].

٢- المستوى الفنى فى القصة القرآنية رفيع فى أعلى درجات الجمال والكمال، لا يتفاوت تبعا للحالة النفسية أو البيئية المحيطة، وفى القصة الأدبية متفاوت تارة فى العلو، وأخرى فى الوسط، وثالثة دون ذلك، تبعا لأحوال المؤلف النفسية والاجتماعية وقوته فى التعبير والبيئة والظروف المحيطة به[4].

---

(١) الخطيب، القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه، مرجع سابق، ص ٤٣.

(٢) السعدى، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، (٩٥٤/١)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٣) عبد المجيد، عبد العزيز: القصة فى التربية وأصولها النفسية وتطورها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ٢٠.

(٤) الخطيب، القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه، مرجع سابق، ص ٤٢.

٣- الهدف: فى القصة القرآنية للعظة والعبرة والهداية، وفى القصة الأدبية يختلف باختلاف الأشخاص والأفكار والنوايا[١].

٤- العناصر: القصة القرآنية لا يشترط فيها كل العناصر، فقد يتوفر البعض منها حسب السياق والهدف القرآنى، أما القصة الأدبية فلابد فيها من توفر كل العناصر، مثل الشخصيات والحدث والزمان والمكان وكلها تعمل مجتمعة لإبراز الفكرة التى من أجلها وضعت القصة[٢].

٥- الزمان والمكان: فى القصة القرآنية يذكران بحسب الحاجة والقدر المناسب، ولا يشترط فيه التسلسل الشخصى، وتكون الأجزاء فيه متجهة للأمام دائما، إذ ليس من طبيعة الزمن أن يتحرك إلى الوراء، أما فى القصة الأدبية فقد يذكر بحسب الحاجة، ولا يشترط فيه السير إلى الأمام، إذ أنه تبع لرغبة المؤلف يبدأ من أى زمان أو مكان يشاء[٣].

٦- الحوار: فى القصص القرآنى هو الروح الذى يسرى به كيان العمل القصصى، وبغير حوار لا نجد الفائدة المرجوة، والذى يعنينا هنا أن الحوار فى القصص القرآنى لابد أن يؤدى دورا هاما فى إبراز الأهداف التربوية الإسلامية السامية، وقد لا نجد الحوار فى بعض القصص

(١) القطان، مناع: مباحث فى علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٩٣.

(٢) عبد المجيد، عبد العزيز: القصة فى التربية وأصولها النفسية وتطورها، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٣) عبد المجيد، عبد العزيز، القصة فى التربية وأصولها النفسية وتطورها، مرجع سابق، ص ٢١.

القرآنى مثال ذلك، قصة أصحاب الفيل وأصحاب الأخدود، قال تعــالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الفيل: ٤] وعلى هذا فأسلوب الحوار فى كل موقف مغاير للآخر، فلموقف الشدة حــوار، ولموقــف الرخاء حوار.

المطلب الثالث

منهج القصة القرآنية وخصائصها وأغراضها

أولا: منهج القصة القرآنية

القصة القرآنية تهدف إلى غرض دينى محدد، لهذا جاء أسلوبها متناغما مع هذا الغرض الذى سيقت لأجله، ونري أن من أبرز سمات ومنهج القصة القرآنية ما يلى:

الاقتصار على الغرض الدينى:

القصة القرآنية لا ترد فى القرآن بتمامها دفعة واحدة، بل تقتصر على الجزء الذى يناسب الغرض الذى تساق لأجله، بعيدا عن الأمور التى لا ينفع العلم بها ولا يضر الجهل بها، فمرة تعرض القصة من أولها، ومرة من وسطها، ومرة من آخرها، حسبما تكمن العبرة فى هذا الجزء أو ذلك، باعتبار أن الهدف الدينى هو الأصل فى سوق القصة، فقصة إبراهيم – عليه السلام – وردت فى حوالى العشرين موضعا، منها ما جاء فى سورة الحج فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ* وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج:٢٦ – ٢٧]، ونلاحظ هذا التلاؤم بين موضوع السورة وهذا المشهد، فقد ربطت الآيات بين شعائر الحج فى الإسلام وشعائره فى دين إبراهيم – عليه السلام –، وهذا هو الغرض المقصود هنا.

اشتمال القصة القرآنية على العبر والعظات والدروس:

الإعلان عن التوجيهات والعظات والعبر والدروس المستخرجة فى ثنايا القصة أو قبلها أو فى ختامها يعد من منهج القصة فى القرآن الكريم، تأمل

قصة إبراهيم – عليه السلام – فى ذبح ابنه إسماعيل – عليه السلام –، فالله تعالى يبتلى عباده الصالحين، الذين أحبهم فيعرضهم للمحن لا لينتقم منهم، بل لأنه يحبهم ولا يدرك هذا إلا المؤمنين، قال تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾﴾ الصافات: [١٠٦-١٠٩]

التكرار في القصة القرآنية ودواعيه والإعجاز فيه:

يلاحظ بأن هناك قصصا فى القرآن الكريم قد تكررت وقصصا لم تكرر، ولعل سر عدم تكرار هذه القصص أنها سيقت لإخبار النبى – ﷺ – بأمر يجهله وعِلْم النبى – ﷺ – يثبت من أول وهلة فلا داعى للتكرار[١] كإعلامه بما فى الطبائع البشرية من حرص على الشر فى قصة يوسف – عليه السلام – مع أخوته وكيف ألقوه فى الجب ثم نجاته ومراودة امرأة العزيز له، أما القصص التى تكررت فى أكثر من موضع فلعل العلة الظاهرة فى هذا التكرار هو تثبيت رسول الله – ﷺ – فى دعوته، وحمله على أن يصبر على إيذاء قومه[٢]، ولعل هناك سببا آخر لعدم تكرار قصة كقصة يوسف – عليه السلام –، وهو حرص الإسلام على صيانة الأعراض، حيث أن القصة فيها محاولة إغراء على جريمة خُلقية، لذلك ساقها القرآن الكريم للاعتبار مرة واحدة[٣].

---

(١) باحاذق، عمر محمد عمر: الجانب الفنى فى قصص القرآن الكريم، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية، د.ت، ص ٣٥.
(٢) المرجع نفسه، ص ٤١.
(٣) المطغى، عبد العظيم إبراهيم: خصائص التعبير القرآنى وسماته البلاغية، (٣٣/١)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

والتكرار فى القصص القرآنى له حكم وعظات جليلة، منها ما يلى:

أ- إثبات بلاغة القرآن التى تتقاصر عنها جميع البلاغات، إضافة إلـى أن تكرار أحداث القصة بهذا الأسلوب المتمايز عن الآخر يجعـل القـارئ والسامع لا يمل من التكرار بل يتشوق وتنجذب روحه لجوانب أخـرى من القصة.

ب- بيان قوة الإعجاز، فإيراد المعنى الواحد فى صور شتى مع عجز العرب عن الإتيان بصورة واحدة منها أبلغ فى التحدى، "ولاشك فى أن إعادة الكلام وتكراره لمعنى واحد مع التشابه فى الفصاحة والبلاغة والإعجاز وإصابة المراد فى الجمل والعبارات المكررة هو سر من أسرار القرآن الكريم وضرب من ضروب القدرة الكلامية لا يعرف إلا لكتاب الله تعالى"(١).

ج- التقرير: وقد ذكر الزركشـى(٢) أن الكـلام إذا تكـرر تقـرر، وأن الله – ﷻ – أخبر بالسبب الذى لأجله كرر الأقاصيص والأخبار فى القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١](٣)، وتتضمن هذه الحكمة الاهتمام بشأن القصة، لتثبيت عبرها فى

---

(١) السباعى، مريم عبد القادر: القصة فى القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٨٤.

(٢) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشى، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقه الشافعية والأصول، توفى عام ٧٩٤هـ، من مصنفاته (البحر المحيط)، فـى أصـول الفقـه، انظر: الأعلام، للزركلى، (٦/٦٠)، مرجع سابق.

(٣) الزركشى، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله: البرهان فى علـوم القـرآن، (١٠/٣)، تحقيق: محمد أبو الفضـل إبـراهيم، دار المعرفـة، بيـروت، لبنـان، ١٣٩١هـ.

النفس، ولولا أهمية أغراض القصة ودلالتها لما جاء هذا التكرار.

د- اختلاف الغاية التى تساق من أجلها القصة فتذكر جوانب من القصة فى مقام وجوانب أخرى تكون أنسب لمقام آخر، ولا يخفى أن ما تضيفه بعض الآيات من معانى جديدة لم تكن تتضمنها فى سياق آخر مقتضب(1).

ثانيا: **خصائص القصة القرآنية**:

القصص القرآنى له خصائص ذاتية، وفنية، أما الذاتية فمنها:

- القصص القرآنى جزء من كتاب الله تعالى، وهو الحق الذى قال الله تعالى فيه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣].
- القصص القرآنى تعبير صادق، قائم على الواقعية، فهو يتفق مع الإنسان فى حقيقته وواقعه.
- التسامى فى الهدف، حيث لا يدعى فى القصص القرآنى إلى شئ إلا ويُقصد من ورائه هدف نبيل فى غايته، ولا ينهى عن شئ إلا وكان للنهى عنه حكمة جليلة(2).
- موضوع القصص هو الإنسان المستخلف فى الأرض بما يدور حوله فى الكون وما يحدث له وما ينبغى أن يكون عليه حاله، فهو قطب الرحى فى القصة القرآنية مثلما هو قطب الرحى فى الكون الذى استُخلف فيه.

---

(١) القطان، مناع: مباحث فى علوم القرآن، مرجع سابق، ص ٣٠٢ – ٣٠٣.

(٢) السباعى، مريم عبد القادر: القصة فى القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٣٩–٤٠.

- القصة القرآنية ليست عملا فنيا مستقلا فى موضوعه وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه كما هو شأن القصة العادية، وإنما هى وسيلة من وسائل القرآن إلى إبراز الأغراض الدينية التى كفل للإنسان السعادتين[1].

أما عن الخصائص الفنية: فقد قدم القصص القرآنى لوحات خالدة وصورا مثيرة تلفت نظر الأعمى والبصير، والأمى والمتعلم، والمرأة والرجل، والشيخ والشاب[2]، ويعتبر العرض الفنى للقصة فى القرآن الكريم من أصلح الأساليب لخطاب العامة والخاصة، كما أنه يقدم قناطير مقنطرة من المعانى بعدد قليل من الألفاظ والكلمات[3].

ثالثا: أهداف أو أغراض القصة القرآنية:

اقتضت حكمة الله تعالى ألا يخلق شيئا بلا غرض أو هدف، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ (المؤمنون: ١١٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ (الدخان: ٣٨) لذلك فهو لا يورد فى كتابه أمرا لا هدف له، وقصص القرآن الذى شغل حيزا كبيرا فيه له أهداف جليلة، تذكر الباحثة فى هذا المقام أهمها، وذلك

(١) قطب، محمد: القصة فى القرآن، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٥.

(٢) شحاته، عبد الله: علوم القرآن، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ص ١٢٨.

(٣) زرزور، عدنان: علوم القرآن، المكتب الإسلامى، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٣٦٠.

من خلال تتبع مواضع سوقها، ومن دراسة الكتب التى ألفت فيه[1]:

أ- تقديم العبر والعظات والدروس، يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف:١١١] وهذا هو الهدف الرئيسى من إيراد القصص فى القرآن الكريم، إذ إن القرآن الكريم قد أهمل ذكر كثير من التفاصيل فى القصص – كالأسماء والأعداد والصفات – لأنها تسدى للناس خدمة، ولا تقدم لهم عبرة، وأهملها أيضا – عن قصد – حتى لا ينشغل الناس بالتفاصيل ويغفلون عن الهدف المقصود من إيراد ذلك القصص.

والجميل هنا أن الله تعالى جعل مناط تحقيق العبرة والعظة لأرباب العقول والقلوب السليمة، ولمن أراد أن يصغى لا لمن أراد أن يجادل، ولمن أراد أن يهتدى لا لمن أراد أن يعاند، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾(ق: ٣٧).

ب- تثبيت القلوب على الدعوة، وتسلية الرسول - ﷺ - وأصحابه ومن آمن به من بعد، ليصبروا على ما يلاقوا من أذى فى سبيل الله، وليثبتوا على هذا الدين، وليعلموا أن العاقبة للمتقين، قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ

---

(١) الثعلبى، أبو إسحاق أحمد بن محمد إبراهيم: قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، تحقيق: محمد سيد، إدارة الفجر للتراث، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٧-٩.

وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ (هود: ١٢٠) فحينما يقرأ المسلم قصص القرآن بما يحويه من تجارب السابقين، وتحقيق حسن الختام للمؤمنين والخيبة والحسرات للكافرين، تهدأ نفسه، ويطمئن قلبه، ويقوى إيمانه، ويزداد يقينة بالله تعالى.

ج- شحذ العقول والأفكار، يقول تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ (الأعراف: ١٧٦) وكثيرا ما يُعقب القرآن بعد سرد القصص أو في أثنائه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص: ٤٣] ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص: ٤٦] ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص: ٥١] ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف: ١٦٩] وغيرها، وعندما يقرأ المرء هذا القصص، ويتفكر فيه لاستخراج العبر والعظات والدروس والدلائل المقصودة منه، فإن ذلك سيقوده إلى الطريق القويم، والصراط المستقيم بإذن الله تعالى.

د- الاقتداء بالأنبياء والصالحين، وبيان أساليبهم فى الدعوة إلى الله، فقد ذكر الله تعالى ثمانية عشر نبيا فى سورة الأنعام، ومدحهم وآباءهم وذرياتهم وإخوانهم بالاجتباء والهداية ثم قال بعدها: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (الأنعام: ٨٣ – ٩٠).

والله – ﷻ – قص القصص، وضرب فيها نماذج إيجابية امتثلت أوامره ودعت إليه، كالأنبياء والصالحين – ذكورا وإناثا – من أمثال لقمان، وذى القرنين، وإبراهيم، ومريم وامرأة فرعون، للاقتداء بهم، والسير على نهجهم، ونماذج أخرى سلبية لرجال ونساء خانوا الله ورسله، وانتهكوا حدوده، من أمثال فرعون، وهامان، وقارون، وامرأة نوح، وامرأة لوط للتنفير منهم.

ه- التنبيه إلى أن الدين الذى بُعث به الأنبياء جميعا من لدى آدم – عليه السلام –

إلى سيدنا محمد – ﷺ – هو دين واحد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران:١٩]، وما من نبى بعثه الله تعالى إلا قال: (الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥)، وقال الله تعالى عن هؤلاء الأقوام مبينا ردة فعلهم تجاه أنبيائهم: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾(الشعراء: ١٠٥)، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾(الشعراء: ١٢٣)، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾(الشعراء: ١٤١) فقد عدّ القرآن تكذيبهم لرسولهم، تكذيبا لجميع الرسل، وفى ذلك دلالة واضحة أن عقيدة الأنبياء جميعا واحدة، وهى عقيدة التوحيد.

المبحث الثاني

قصة إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه

المطلب الأول

أدب إبراهيم - عليه السلام -

هناك ثلاثة عناصر في هذا المطلب: النصوص الدعوية، الداعي، المدعو.

العنصر الأول: النصوص الدعوية: قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِى ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِى عَنكَ شَيۡـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدۡ جَآءَنِى مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِىٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ (مريم: ٤١ – ٤٨).

العنصر الثاني: الداعي: هو إبراهيم – عليه السلام – أبو الأنبياء، ومن أولى العزم من الرسل، ولقد أثنى الله تعالى عليه في مواضع عدة من كتابه العزيز فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ (النحل: ١٢٠ – ١٢١) وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِى ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (البقرة: ١٣٠) وهو خليل الرحمن كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينًا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء: ١٢٥) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي جاءت ببيان صفاته وفضله – عليه السلام –.

وكونه أبا للأنبياء، لأن من ذريته إسماعيل وإسحاق – عليهما السلام –، وكل

منهما نبيا، ومن نسل إسماعيل – عليه السلام – جاء خاتم الأنبياء محمد – ﷺ –، ومن نسل إسحاق – عليه السلام – جاء يعقوب – عليه السلام – ومن نسله جاء جميع أنبياء بنى إسرائيل.

ولد إبراهيم – عليه السلام – في بابل ثم انتقل إلى حران ثم إلى الشام، ورحل إلى مصر ومكة، واستقر أمره بالشام بعد ذلك، واجه قومه بالدعوة في بابل وكذلك في حران، وكان له مواجهات مع النمرود، وحاول قومه إحراقه بالنار فأبطل الله كيدهم ونجاه من شرهم(١).

العنصر الثالث: المدعو: هو والد إبراهيم – عليه السلام – واسمه آزر وهذا هو الاسم الذى دلت عليه نصوص الكتاب والسنة دلالة صريحة فنص الكتاب كما هو مذكور في الآية.

أما في السنة فما ورد عن أبى هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – قال: " يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ... "(٢).

ورد عن بعض المؤرخين وأهل التفسير أقوال مختلفة في (آزر) على النحو التالي:

---

(١) النجار، محمد: تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، ط٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ، ص ٩٥ – ١١٥.

- الصابونى، محمد على: النبوة والأنبياء، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ، ص ٩٥ – ١١٥، بتصرف.

(٢) البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى (الجامع المسند الصحيح)، (١٣٩/٤)، حديث رقم (٣١٠١)، كتاب: أحاديث الأنبياء باب: (واتخذ الله إبراهيم خليلا)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ.

١- إنه لقب لأبيه وليس باسم[١].

٢- أنه اسم عم إبراهيم[٢].

ولعل مرد هذا الاختلاف هو ما ورد عند أهل الكتاب في نسب إبراهيم - عليه السلام - أنه: إبراهيم بن تارخ بن ناحور...[٣]، ولقد كان (آزر) كافرا عابدا للأصنام وقيل صانعا لها. بل أشهر صناعها وأمهرهم فقد كان القوم يشترونها منه لا من غيره[٤]. إذ ترى الباحثة أنه فوق كفره وعبادته الأصنام معين للناس على عبادتها بصناعتها لهم.

فإبراهيم - عليه السلام - يدعو والده إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، فدعوة إبراهيم - عليه السلام - البار الحليم الرقيق لوالده الكافر الفظ الغليظ يتمثل بالأسلوب الدعوى في هذا الموقف بالنقاط الآتية:

١- **التذكير بصلة القرابة:**

بدأ إبراهيم - عليه السلام - دعوته لأبيه بـ (يا أبت) وكررها في كل جملة تذكيرا للوالد بصلة القرابة، وما يكون بين الوالد والولد في العادة من محبة أحدهما للآخر وحرصه على مصلحته وتضحيته من أجله، وهذه

---

(١) ابن الجوزى عبد الرحمن بن على بن محمد: زاد المسير في علم التفسير (٣/٧٠ – ٧١)، المكتب الإسلامي، بيروت،لبنان، د.ت.

(٢) القرطبى، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)، ط٢، (٧/١٦-١٧)، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ.

(٣) الراجحى، سليمان: إبراهيم عليه السلام في التوراة – دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ، ص ٢٥.

(٤) الشهرستانى، محمد بن عبد الكريم أبو الفتح: الملل والنحل، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، نشر دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٣٠٥.

الدعوة تبدو شخصية.

٢- **طرح السؤال وإقامة الحجة:**

لم تكن بداية الدعوة بنصح مباشر، إنما كانت بسؤال مطروح، ليوقظ قلبه ويستنهض تفكيره، فسأله أولا عن العائد من عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنها شيئا، " وهذا برهان جلى دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلا وشرعا"(١). ويقول الألوسى في ذلك: " ولقد سلك – عليه السلام – في دعوته أحسن منهاج، واحتج عليه أبدع احتجاج، بحسن أدب وخلق ليس له منهاج، لئلا يركب متن المكابرة والعناد، ولا ينكب بالكلية عن سبيل الرشاد... "(٢).

٣- **التدرج مع الأدب:**

لقد تدرج إبراهيم – عليه السلام – في دعوته لأبيه تدرجا " فأخبره بعلمه، إن ذلك موجب لإتباعك إياى، وإنك إن اتبعتنى اهتديت إلى صراط مستقيم. ثم نهاه عن عبادة الشيطان وأخبره بما فيها من المضار، ثم حذره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله وأنه يكون وليا للشيطان "(٣).

---

(١) السعدى، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكلام الرحمن في تفسير كلام المنان، (٥/١١٠)، نشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٠هـ.

(٢) الألوسى، شهاب الدين السيد: روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، ط٤، (١٦/٩٧)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.

(٣) السعدى، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٥/١١٢)، مرجع سابق.

ومع هذا كله لم تنجح تلك الدعوة بذلك الشقى، فقد وجد الولد إبراهيم – عليه السلام – الغلظة مقابل اللين، والسفه مقابل الحلم،والبعد مقابل القرب، والانقطاع مقابل الحجة، فقابل الوالد لطف الولد في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد، فناداه باسمه، ولم يقابل (يا أبت) بـ (يا بنى)(١).

(١) الشنقيطى، محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى: أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن، (٢٨٧/٤)، طبع على نفقة صاحب السمو الملكى الأمير أحمد بن عبد العزيز، الرياض، ١٤٠٣هـ.

المطلب الثانى

موقف أبيه من دعوته - عليه السلام -

فيما سبق نلاحظ تدرج إبراهيم – عليه السلام – في دعوته لأبيه الأقرب فالأقرب، وتلطفه معه وشفقته عليه، مع هذا كله لم تنجح تلك الدعوة بذلك الشقى، فقد وجد الولد الغلظة مقابل اللين، والسفه مقابل الحلم، والبعد مقابل القرب، والانقطاع مقابل الحجة، وأجاب الوالد بجواب جاهل وفى ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ (مريم: ٤٦).

فتبجح بآلهته التي هي من الحجر والأصنام، وفى هذا الجواب أضاف الوالد الآلهة إلى نفسه ليبين شدة قربه منها، واستعداده للدفاع عنها. فقابل الوالد استعطاف الولد ولطفه في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد، فناداه باسمه، ولم يقابل (يا أبت) بـ (يا بنى)، وأخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لإنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب، كأنها مما لا يرغب عنها عاقل[1].

وبعد هذا كله رد إبراهيم – عليه السلام – الولد ردا جميلا حليما، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ (مريم: ٤٧)، أي لا يصلح منى مكروه، بل أنت سالم من ناحيتي، وهذا هو جواب المؤمنين في حالة الرد على الجهال. وقيل هذا سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه [2].

---

(١) الشنقيطى، محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى: أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن، (٤/٢٨٧)، مرجع سابق، بتصرف.

(٢) البغوى، أبو محمد بن مسعود: معالم التنزيل (تفسير البغوى)، (١٦/٢٣٥)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، نشر دار طيبة، الرياض، ١٤١١هـ.

المطلب الثالث

استغفار إبراهيم - عليه السلام - لأبيه

رغم هذه القسوة والجهل من والد إبراهيم – عليه السلام – إلا أنه لم يقابل والده بما يكره، ولم يفعل ما يدل على فقدانه الأمل، بل صبر وأحب أن يدعو له بالهداية، فقال تعالى: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾ (مريم: ٤٧). فمازال في قلب إبراهيم – عليه السلام – الخوف على أبيه من عذاب الله – عز وجل –.

قال إبراهيم – عليه السلام – لأبيه: (سلام عليك) أي: لن أجاد لك مجددا وأخاطبك فيما لا تريد، وذلك لما توعدتني بالعقوبة لكن (سأستغفر لك ربى) وأسأله أن يستر عليك ذنوبك بالعفو عن عقوبتك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾ إن ربى بما عهدته بي لطيفا يجيب دعائي إذا دعوته[1]، والاستغفار بمعنى طلب الهداية إن كان الإنسان حيا لا بأس به، وأما بعد الموت على الشرك أو الكفر فهو محرم، وقول بعض الناس رحم الله فلان، وهو يعلم أنه مات كافرا لا يجوز[2].

فكان إبراهيم – عليه السلام – يستغفر لأبيه مدة حياته، فلما مات على الشرك

---

(١) الطبرى، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل القرآن، (٥ /١٦١)، تحقيق: بشار بن معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، بتصرف.

(٢) الزحيلى، وهبة بن مصطفى: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط٢، (١٠٨/١٦)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ، بتصرف.

وتبين إبراهيم ذلك رجع عن الاستغفار له، وتبرأ منه[1]، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾(التوبة: ١١٤).

ومن التأسى بإبراهيم – عليه السلام – البراءة من المشركين، كما كانت حاله ومن معه من المؤمنين، ولكن هناك أمر استثنى من الأتباع وهو استغفار إبراهيم – عليه السلام – لأبيه، فقد قال سبحانه وتعالى في هذا الشأن: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة: ٤).

أي إن لكم في إبراهيم – عليه السلام – وقومه أسوة حسنة تتأسون بها، إلا في استغفار إبراهيم – عليه السلام – لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه[2].

---

(١) ابن كثير الدمشقى، أبو الفدا إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، (١٥١/٢)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ.

(٢) ابن كثير الدمشقى، تفسير القرآن العظيم، (٣٤٩/٤)، مرجع سابق، بتصرف.

المطلب الرابع

الدروس والعبر المستفادة من قصة إبراهيم - عليه السلام - مع أبيه

من الدروس المهمة أن يستفيد الداعية المعاصر من هذا الأسلوب الدعوى، ولعل هذه الاستفادة تتمثل في النقاط التالية:

- أن يدرك الداعية المعاصر أن البر بالوالدين أو الوالدة لا يقتصر على تلبية حاجتهما والإنفاق عليهما، بل الأهم من ذلك السعي لنجاتهما في الآخرة، وذلك بدعوتهما إلى الله سبحانه وتعالى، فالدعوة إلى الله تعالى من أعظم وجوه الإحسان التي يكافئ بها الولد إحسان الوالد(١).
- التدرج المناسب في عرض الدعوة ومتابعة مراحلها.
- التواضع مع الوالد في الخطاب الدعوى، فلا يظهر الداعية أنه أعلم من أبيه، وإن كان الولد كذلك، ولكن يختار العبارات التي تكون سببا في قبول الوالد للدعوة.
- أن تحمل الدعوة طابع الترغيب، وإن احتاج الأمر إلى الترهيب يكون بلطف وأسلوب لبق كما فعل إبراهيم – عليه السلام –.
- الحرص على الإقناع العقلي للوالد، الذى يدعوه لترك ما عنده من الشر، والإقبال على ما تركه من الخير.
- التنبيه بحذر: أي إبراهيم – عليه السلام – يدعو والده بحذر بالغ حتى لا يشعر الوالد بالغضاضة من اتباع ابنه، وهو الوالد الأكبر سنا، والأكثر

(١) العدوى، محمد أحمد: دعوة الرسل إلى الله تعالى، مطبعة مصطفى الحلبى، مصر، د.ت، ص ٤٤.

خبرة وتجربة في الحياة، فلم يسند إبراهيم – عليه السلام – العلم إلى نفسه، ويقل: إنى أعلم ما لا تعلم، بل أخبر أنه قد جاء من العلم ما لم يأت والده، وفى ذلك عدم جرح لكبرياء الأب.

- اللين والشدة: لجأ إبراهيم – عليه السلام – إلى أسلوب اللين جذبا لقلوب قومه المكذبين، وقد ابتدأ بدعوة أبيه آزر، فحاول أن يهديه بكل لطف وتحبب، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ (مريم: ٤٢)، فكان خطابه مبتدئا (يا أبت) وفى أسلوب الخطاب دلالة واضحة على تأدب إبراهيم – عليه السلام – ولينه وأدبه مع أبيه وحرصه على هدايته، ثم سلك إبراهيم – عليه السلام – مسلك الشدة في القول والغلظة في الخطاب عندما وجد من أبيه وقومه تكذيبا وإنكارا للحق، علهم ينزجرون أو يرتدعون عن الباطل، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ (الأنعام: ٧٤).

وذكر الثعالبي في تفسيره أن إبراهيم – عليه السلام – لم يخش في الله أحد، وقد دفعه حب قومه وحرصه على هدايتهم إلى تقريعهم والاستخفاف بمعبوداتهم والغلظة عليهم في القول والفعل، وقد كان – عليه السلام – منذ صغره يستخف بالأصنام التي يكلفه أبوه ببيعها، وينادى من يشترى ما يضره ولا ينفعه؟ وينكس رؤوسها في الماء ويقول لها اشربى حتى جاء أمر الله تعالى الذى لم يلق قبول قومه فخاطبهم بأشد لهجة مبتدئا أبيه صانع تلك الأصنام ثم أولئك القوم الغارقين في الكفر، وأخبرهم أنهم في ضلال واضح

عظيم أملا في أن يستفيقوا ويعودوا للحق[1].

- **لا دعوة ولا إصلاح بلا علم ومعرفة:**

هذه حقيقة ينبغي أن لا يتجاهلها الدعاة، فمن علم شيئا (والعلم نسبى ومتفاوت بين الخلائق) وجب عليه أن يبلغ ما علمه، ويدعو إليه، ولذلك صار واجبا على الدعاة إلى الله تعالى أن يتعلموا، وأن يتثقفوا، وأن يتنوروا، لأن العلوم رصيد الداعية، وكلما زاد هذا الرصيد زادت النتائج المرجو تحقيقها.

---

(١) الثعالبى، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (٤٩٣/١)، تحقيق: أبو محمد الغمارى، الإدريسى الحسنى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، بتصرف.

المبحث الثالث

منهج إبراهيم - عليه السلام - في دعوة المشركين

لم يتحدث القرآن عن ميلاده أو طفولته، ولم يتوقف عند عصره صراحة، ولكنه يرسم صورة الحياة في أيامه، فتدب الحياة في عصره، وترى الناس قد انقسموا إلى ثلاث فئات:

- فئة تعبد الأصنام والتماثيل الخشبية والحجرية.
- وفئة تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر.
- وفئة تعبد الملوك والحكام.

وتتناول الباحثة ذلك في المطالب الخمسة التالية:

المطلب الأول:

دعوته - عليه السلام - لعبدة الكواكب والنجوم

بدأ إبراهيم – عليه السلام – بمحاورة عبدة النجوم والكواكب من قومه، فعندما جن عليه الليل وستره الظلام، فرأى كوكبا مما يعبدون، وهو بين جماعة منهم يتحدثون ويسمرون، فقال: (هذا ربى) طريق في الحوار حكيم، ومنهج في القرآن قويم، انظر إليه يحاكيهم في اعتقادهم، ولا يعلن مخالفتهم، ولا يسفه أحلامهم، فذلك أدعى إلى إنصاتهم لقوله وتعمهم لحجته، ثم لم يلبث أن كسر قولهم ينقضه، ورجع إلى مذهبهم يزيفه، ولكن من طريق خفى، ينبئ عن سداد رأى، فلما أفل هذا الكوكب تفقده فلم يجده، فقال: لا أحب الآلهة المتغيرين من حال إلى حال، ثم عرض بآلهتهم، وأعلن بغضه لها وتبرأ من حبها.

ولما رأى القمر بازغا، وهو أسطع نور من الكوكب، وأكبر منه حجما، وأكثر نفعا قال ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ استدراجا لهم واستهواء لقلوبهم، فلما أفل واختفى نوره، قال ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (الأنعام: ٧٧)، تأكيد على أن الله مصدر الهداية، ومانح التوفيق عند الشك والحيرة، ثم رأى الشمس بازغة يتألق نورها، وينبعث شعاعها، وقد كست الدنيا جمالا، وملئت الأرض حياة وبهاء. فقال ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ فلما أفلت مثل غيرها، وغابت عن عبادها رماهم بالشرك، ووسمهم بالكفر، فقال: إنى برئ مما تشركون، فهذه الكواكب تنتقل من مكان إلى مكان، وتتحول من حال إلى حال، لابد لها من خالق يدبرها ويحركها، فهى لا تستحق عبادة ولا تعظيما[١].

هذا والمتأمل في الحالات الثلاث يرى أن إبراهيم – عليه السلام – قد سلك مع قومه من عبدة النجوم والكواكب أحكم الطرق في الاستدلال على وحدانية الله، فقد ترقى معهم وهو يأخذ بيدهم إلى النتيجة التي يريدها بأسلوب يقنع العقول السليمة، ثم ختم هذا الترقي في الاستدلال على وحدانية الله بقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٩). فمعنى ذلك أنني توجهت لله تعالى الإله الحقيقي لهذا الكون الذى خلق السماوات والأرض، ولكن لم يقل مثلا إني توجهت للذي خلق النجوم والكواكب والأرض، والقمر، لماذا ؟ والجواب

(١) المولى، محمد أحمد جاد وآخرون: قصص القرآن، المجلد الأول، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص ٥٠ – ٥٢، بتصرف.

يكمن فيما يلى[1]:

- لأن هذا التعبير أعم.
- لأنه ظاهر للناس جميعا لا يحتاج إلى دليل.
- لأنه لا أحد من البشر يستطيع منذ بدء الخليقة حتى نهايتها أن يدعى أنه هو الذى خلق السماوات والأرض، فالسماوات والأرض وكل الخيرات فيها مسخرة لخدمته.
- لأن خلق السماوات والأرض يُشعر بالقدرة الخارقة للإله الذى خلق هذا كله.

وبذلك يكون إبراهيم – عليه السلام – قد أقام الأدلة الحكيمة، والبراهين الساطعة على وحدانية الله تعالى، وسفه المعبودات الباطلة وعابديها، قال تعالى: فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (الأنعام: ٧٦ – ٧٩).

وفى قول إبراهيم – عليه السلام – ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ في الآية (٧٦) من سورة الأنعام، قال ذلك على سبيل الوضع فإن المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم، فإنه يستدرجه ثم يُفر عليه بالإفساد، أو على وجه النظر

---

(١) الشعراوى، محمد متولى: قصص الأنبياء، المجلد الأول، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٤٩٥ – ٤٩٦، بتصرف.

والاستدلال[١]، أو أنه على وجه الاحتجاج، يقول: هذا ربى بزعمكم ؟ فلما غاب قال: لو كان إلها لما غاب، أو أنه على وجه الاستفهام، وتقديره: أهذا ربى ؟ يعنى، ومثل هذا يكون ربا أي: ليس هذا ربى، وقيل فيه إضمار وتقديره يقولون: هذا ربى[٢].

ثم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الأنعام:٧٧) أي: لما أوضح لهم في الآية السابقة، أن هذا النير – وهو الكوكب الذى رآه – لا يصلح أن يكون ربا، فارتقب ما هو أنور منه وأضوأ، على سبيل إلحاقه بالكوكب، والاستدلال على أنه لا يصلح للعبادة فرآه في أول طلوعه وبزوغه وانتشاره، فلما أفل استدل على بطلان عبادتهم له، وقال: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ يدرك على أن الهداية بيد الله وحده، وأن طريق الله تعالى هو الطريق الوحيد للهداية والنجاة، وإن غير هذا الطريق شقاء وضلال لصاحبه في الدنيا والآخرة[٣].

---

(١) الخفاجى، شهاب الدين أحمد: حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضى (٢٣٣/١)، تحقيق: عبد الرازق المهدى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، بتصرف.

(٢) البغوى، أبو محمد بن مسعود: معالم التنزيل، (٩١/٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، بتصرف.

(٣) أبو حيان الأندلسى، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، (١٧٢/٤)، تحقيق: عادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، بتصرف.

ثم قال – عز وجل –: ﴿ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (الأنعام:٧٨) قوله هذا أكبر أي: أكبر من القمر والكوكب، فراعاها حتى غابت، فلما أفلت الشمس وذهب نورها، ثم غابت، قال لهم: إنى أبرأ إلى الله مما تشركون به"(١).

ثم صرح بعبادته لله تعالى وحده لا شريك له، دون أن يخاف في الله لومة لائم، قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٩) أي وجهت روحى في المحبة والعبادة لله ربى، وجعلت قلبى مسلما للذى فطر السماوات والأرض حنيفا، مائلا عن الشرك، والعقائد الزائفة(٢).

قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ٨٠) بمعنى: أي فائدة لمحاجة من لم يتبين له الهدى، فأما من هداه الله، ووصل إلى أعلى الدرجات، فإنه هو بنفسه يدعو الناس إلى ما هو عليه، ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ فإنها لن تضرنى، ولن تمنع عنى من النفع شيئا

---

(١) أبو الزمنين السمرى، محمد بن عبد الله: تفسير ابن أبى الزمنين وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام، (٢٣٣/١)، تحقيق: أحمد فريد محمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، بتصرف.

(٢) القاسمى، جمال الدين بن محمد: محاسن التأويل، (٥٩٢/٦)، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، بتصرف.

﴿أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۚ﴾ فتعلمون أنه وحده المستحق للعبودية[1].

﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٨١) وكيف أخاف أي: كيف أخاف شيئا من دون الله، لا يضر ولا ينفع ولا تخافون أنتم الذى يضر وينفع، وقد جعلتم معه شركاء لا تضر ولا تنفع[2]، وقوله: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ أي: أي الطائفتين أصوب ؟ الذى عبد من بيده الضر والنفع، أو الذى عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل. وأيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة إن كنتم حقا تعلمون[3].

ثم قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ (الأنعام: ٨٣) تلك حجتنا أي: التي احتج بها إبراهيم - عليه السلام - على وحدانية الله - عز وجل - من أفول الكوكب والشمس والقمر والنجوم وقد نصره الله - عز وجل - بهذه الحجة[4].

---

(١) السعدى، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط٢، (٢٩٢/٧)، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، دار السلام، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، بتصرف.

(٢) الطبرى، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، (٤٩١/١١)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، بتصرف.

(٣) ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، (١٩٢/٢)، دار السلام، الرياض، د.ت.

(٤) الطبرى: جامع البيان عن تأويل القرآن، (٤٩٥/١١)، مرجع سابق، بتصرف.

وهناك قول لبعض المفسرين، أن هذه المحاجة كانت قبل هداية إبراهيم – عليه السلام – أو قبل بلوغه سن الرشد، لكن يرد على هذا القول، بأن الأنبياء معصومون من كبائر الذنوب، وأيضا إنه من خلال التأمل في سياق الآيات السابقة، فإن إبراهيم – عليه السلام – كان يريد إثارة التفكير في أذهان قومه، ليصلوا بعد النظر والتأمل في الآيات الكونية إلى وحدانية الله تعالى، ففي بداية الآيات يقول الله تعالى: (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض) وفى آخر الآيات قال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[1].

وانفلت تفكير البشر خلال حقبات زمنية من أي عقال حتى عبدوا النجوم والكواكب والشمس والقمر، وقد ذكر القرآن الكريم ما كان من قوم سبأ على لسان هدهد سليمان – عليه السلام –، قال تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (النحل: ٢٤) ولم يغفل القرآن أيضا أن يحرم السجود لهذه الأجرام منعا لعبادتها كما كان في السابق، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (فصلت: ٣٧) وربما تجد الباحثة في أسباب هذا الانفلات العجيب ما قد يعذروا به، فهم كانوا يفتشون دائما عن إله يُدرك بالحواس، ليتواصلوا من خلاله إلى الله الذى خلق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى

---

(١) السعدى، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٧/ ٢٩٠)، مرجع سابق، بتصرف.

ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾(الزمر: ٣) هذا مع علمهم الباطن أن هذه الآلهة لا تضر ولا تنفع فاتجهوا لعبادة الأجرام السماوية نظرا لبعدها وعلوها وشدة إضاءتها.

وانطلاقا من هذا الاعتقاد بنى إبراهيم - عليه السلام - حوارا ذكيا مع قومه من عبدة الكواكب والنجوم والشمس فيه استدراج لهم حين قال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ (الأنعام: ٧٦ – ٧٨).

ويتبين للباحثة من النظر والتأمل في الآيات السابقة أن الأسباب التي تدعو القوم للخضوع لهذه المعبودات هي: ظهورها ليلا عند اشتداد الظلمة، وبزوغها وشدة إضاءتها، حجمها الهائل، وهذه الأسباب مجتمعة تجعل من لا علم له يصدق أن لها سيطرة معينة على العالم بشكل عام، وعلى البشر بشكل خاص.

المطلب الثاني

دعوته - عليه السلام - لقومه من عبدة الأصنام والتماثيل

بعد أن دعا إبراهيم – عليه السلام – أباه لقربه توجه بالدعوة إلى قومه، وكانوا فيما قبل قسمان، منهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد الكواكب. وقيل: أنهم كانوا يعبدون الكواكب ويصورون أصناما على صورها ويعبدونها ويعكفون عليها، وبدأهم بالدعوة إلى توحيد الله بالعبادة، وبين لهم أن ما يعبدون ما هو إلا إفك مفترى، ولفت أنظارهم إلى أن مصيرهم إن لم يستجيبوا للدعوة مصير أمثالهم، فقد سبقهم على ذلك أمم ولحقهم من ربهم من العذاب ما لا يخفى عليهم. قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾(العنكبوت: ١٦ – ١٨).

ولقد سلك إبراهيم –عليه السلام– في إقناع قومه مسلك المساءلة عن جدوى أصنامهم، هل تنفع أو تضر أو تسمع، فما وجد إلا التبعية العمياء، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَـٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾(الشعراء: ٦٩ – ٧٥) فما كان من إبراهيم – عليه السلام – إلا أن أعلن البراءة مما هم عليه، وأوضح سبب ذلك وسبب قصره العبادة على الله، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ

وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾(الشعراء: ٧٦ – ٨٠).

وبدأ قوم إبراهيم – عليه السلام – يراوغون فيما عرضه عليهم، إلا أنه ما كان من إبراهيم – عليه السلام – إلا إعلان النكير وبيان الحق فعلا لا قولا فحسب ودخل بهذا مرحلة خطرة من مراحل إقناع القوم بعدم جدوى أصنامهم، وفى هذا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأنبياء: ٥١ – ٥٦).

(ما هذه التماثيل) أي: أي شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها(١)

" والتمثال " اسم لشئ مصنوع يشبه خلق من خلائق الله تعالى، وهذا تسفيه لتلك التماثيل، لما سألهم عن أصنامهم مع إحاطته علما بحقيقتها وبكونها من حجر أو شجر اتخذها قومه معبودا من دون الله، وعبر عن عبادتهم لها بمطلق العكوف الذى هو عبادة عن اللزوم والاستمرار على الشئ قصدا إلى مزيد من التحقير لها والإذلال، وتوبيخا لهم على إحلالها(٢).

(١) الطبرى، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل القرآن (تفسير الطبرى)، (٢٦٢/٥)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، بتصرف.

(٢) أبو السعود العمادى، محمد محمد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٧٢/٦)، تحقيق: خالد عبد الغنى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

ولم يكتف القوم بهذه المراوغة مع إبراهيم- عليه السلام - بل دعوه للخروج معهم إلى عيد من أعيادهم، ولكنه اعتذر عن الخروج بتورية، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (الصافات: ٨٨ – ٩٠). وقال عند ذلك: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (الأنبياء: ٥٧) فسمعها بعض القوم، وبادر إبراهيم – عليه السلام – قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥٦ – ٦٤).

إلا أن هذه الصحوة لم تدم فقد عادوا مباشرة إلى كبرهم المهلك، وقرروا حرق إبراهيم – عليه السلام – بلا رحمة ولا هوادة، فالأمر يتعلق بكرامة آلهتهم الصماء، قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الأنبياء: ٦٨).

ثم قرر إبراهيم – عليه السلام – بعد ذلك مصارحة أبيه برأيه في معبوده الذى يصنعه بيديه قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ ﴿٧٤﴾ ﴾(الأنعام: ٧٤) وبعد المداولات وتأكد إبراهيم – عليه السلام – من إصرار أبيه وقومه على الكفر قرر إعلان البراء منهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٦).

المطلب الثالث

دعوته - عليه السلام - لعبدة الملوك والحكام

كانت الخطوة التي لابد أن يخطوها إبراهيم – عليه السلام – في دعوته إلى الله – عز وجل – هي دعوة الملك إلى الصراط المستقيم، وهى انتقال مرحلى متدرج منتظم، فقد بدأ دعوته مع أبيه أقرب الناس إليه، ثم انتقل يدعو قومه، وهى الدائرة الأوسع، ثم الخطوة الثالثة وهى دعوة الملك رأس القوم.

ومع تسلط النمرود ملك قومه، وحاكم بلادهم آنذاك، فإنه – عليه السلام – لم يمنعه ذلك من مواجهة هذا الحاكم ودعوته إلى عبادة الله – عز وجل –، وإبطال ما يدعيه لنفسه من الربوبية، وقد أنطق الله الحق على لسان خليله، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).
يذكر الله تعالى مناظرة إبراهيم – عليه السلام – مع هذا الملك الجبار المتمرد الذى ادعى لنفسه الربوبية، فأبطل الخليل – عليه السلام – عليه دليله، وبين كثرة جهله وقلة عقله، وألجمه الحجة، وأوضح له طريق الحجة "[١].

فقد سأل الملك إبراهيم – عليه السلام – من ربك ؟ فأجابه إبراهيم – عليه السلام –: ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ وقد جاء إبراهيم – عليه السلام – بهذه الحجة لأن أحدا

(١) ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر: قصص الأنبياء، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٦٧.

لم يجرؤ أن يدعى القدرة على الإحياء والإماتة، بل ولن يدعى أحـد أنـه شريك فيها، حتى الذين امتلأوا بالغلو في الكفر عندما يسألهم أحـد: مـن الذى خلق الإنسان ؟ فإنهم يجيبون صاغرين (إنه الله). إلا أن الخصم الذى حاج إبراهيم – عليه السلام – يريد ألا ينتهى الجدل، فقال ناقلا المحاجة إلى لـون من السفسطة: أنا أحيى وأميت، فسأله إبـراهيم – عليه السلام –: كيـف تحيـى وتميت ؟ فقال الرجل: إن عندى من المسجونين عددا وأسـتطيع أن أقتـل منهم من أشاء، وأن أمتنع عن قتل من أشاء، فمن لم أقتله فكأننى أحييته، ومن قتلته فأنا أمته، لم يقل له إبراهيم – عليه السلام –: لنتفق أولا على تعريـف الحياة والموت، لأنه لم يرد أن يطيل هذه المجادلـة، إنمـا أراد أن يـأتي بالحجة التي تسقط للرجل كل ما يحاجج به، فجادله بما يلجمه، ففـي هـذه القصة ينبهنا الله تعالى إلى حقيقة هامة وهى: أن الرسل في جـدلهم مـع أممهم أو مع المخالفين لهم لا يكون هدف الرسول أن يظفر بالغلبة، وإنمـا يكون هدفه أن يصل إلى الحقيقة كما هي. إن هذا الرجل قد بدل نعمـة الله كفرا، فدخل مع إبراهيم – عليه السلام – في جدال عقيم بقصد السفسطة، فـأراد إبراهيم – عليه السلام – أن ينتقل معه إلى مجال آخر غير غيبى ولا يختص بأمر الروح، فانتقل بالحوار إلى حقيقة ساطعة(١)، قال تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

وهكذا يتبين نصر الله للذين آمنوا، ونجد أن الذى حاج إبراهيم –عليه السلام–

(١) الشعراوى، محمد متولى: قصص الأنبياء، المجلد الأول، مكتبة التراث الإسـلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٥٠٩ – ٥١٢، بتصرف.

في ربه قد واجه أمرا لا قبل له به. لقد بهت الذى كفر ولم يجرؤ على الرد على مقولة إبراهيم – عليه السلام – بأن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، والبهت يأخذ ثلاث صور: الدهشة أولا، ثم الحيرة ثانيا، ثم الهزيمة ثالثا.

" لقد انتقل الذى كفر من القدرة على المواجهة إلى مفاجأة الدهشة وهى الصورة الأولى، ومن المفاجئة والدهشة انتقل إلى التحير، لأنه يبحث عن مخرج لنفسه فلم يجد مخرجا من ورطته، وهكذا تلقى النتيجة وهى الهزيمة "(١).

إن غياب صوت النمرود في النهاية " فبهت الذى كفر " يدل على أن حجة إبراهيم – عليه السلام – أعجزته عن الرد، إن هذا الغياب على مستوى البينة له دلالة هائلة أكده قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فانتقى هدى الله للقوم الظالمين، لأن الظلم حائل بين صاحبه وبين التنازل إلى التأمل من الحجج وإعمال النظر فيما فيه النفع، إذ الذهن في شاغل عن ذاك بزهوه وغروره "(٢)، ففشل العلاقة الحوارية بين المتناظرين بسكوت النمرود، أفضت بالمناظرة إلى غلبة حجة إبراهيم – عليه السلام – وسحب سلطة النمرود.

---

(١) الشعراوى، محمد متولى: قصص الأنبياء، المجلد الأول، مرجع سابق، ص٥١٤.

(٢) إبن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، (٣٤/١)، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٤م.

المطلب الرابع

تحطيمه - عليه السلام - للأصنام وتكسيره لها

بعد إنكاره – عليه السلام – على أبيه وقومه بلسانه، وبعد أن أصروا على كفره بالله تعالى وتمسكهم بما عليه آباءهم، قرر إبراهيم – عليه السلام – أن ينكر عليهم بيده، وأقسم أن يحطم أصنامهم وعن ذلك قال تعالى: ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾(الأنبياء: ٥٧–٦١).

﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾ تاء القسم هنا عوضا عن الباء، وهو زيادة في المعنى أي: كأنه تعجب من سهولة الكيد على يده وذلك لصعوبة تكسير الأصنام خصوصا في زمن النمرود مع شدة سطوته وقوة سلطانه[١]، ولما رجع قوم إبراهيم – عليه السلام – من عيدهم ودخلوا إلى معبدهم، فوجدوها متفرقة الأجزاء، قالوا من فرط حزنهم وأسفهم مستبعدين متحسرين: من فعل هذا الفعل الفظيع والأمر الشنيع الفجيج بآلهتنا ومعبوداتنا إنه لمن الظالمين الخارجين عن شعائر ديننا الجاحدين لآلهتنا، فقال السامعون منهم للسائلين: قد سمعنا فتى قد كان يذكرهم، أي الآلهة بالسوء دائما يقال له إبراهيم – عليه السلام –، فلما حضر نمرود واجتمع معه أشراف مملكته، أحضروه لينتقموا منه، قالوا له أولا على سبيل التعبير والتقريع: أأنت فعلت هذا

---

(١) النيسابوري، الحسن بن محمد: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (٥/٢٩)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، بتصرف.

الفعل الشنيع والأمر الفظيه الفجيج بآلهتنا ومعبوداتنا يا إبراهيم ؟ قال في جوابهم بمقتضى اعتقادهم وزعمهم: أنا عبد مألوه مربوب، وهم آلهة معبودون، كيف أقدر أن أفعل بهم هذا ؟ بل فعله كبيرهم هذا وأشار إلى الصنم الكبير، وقد فعل هذا معهم هكذا لئلا يشاركون معه في المعبودية والألوهية، فاسألوهم إن أنتم تعتقدون أن هؤلاء خلقوا عموم أهل التكلم واللسان، ولما تغرسوا بخطئهم وتفطنوا بأحقية إبراهيم – عليه السلام – وصدقه في مقاله، بعد ما علموا على الأمر وأسفله وفرقوا بين الحق والباطل فرقا ظاهرا، أرادوا أن يقبلوا الأمر ويعكسوه عنادا ومكابرة فقالوا: لقد علمت أيها المجادل ما هؤلاء الآلهة ينطقون، إذ هم جمادات لا حس لهم ولا شعور، فقال إبراهيم – عليه السلام – موبخا عليهم ومقرعا: أما تستحيون وما تخجلون أن تعبدوا من دون الله الواحد الأحد، المتوحد بالألوهية والربوبية، ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ؟ ثم قال على سبيل الضجرة، والتأسف على ضيعة عقولهم: أف لكم أي قبحا لكم ولما تعبدون من دون الله. ثم نطقوا بالحكم الجائر، حيث قالوا بعدما تشاورا كثيرا في كيفية إهلاكه: حرقوه، إذ لا عذاب أهول و أفزع من الحرق وانصروا آلهتكم بتحريق هذا الظالم[1].

ثم بعد أن أتوا به، سألوه ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا ﴾جاء الاستفهام والسؤال اقتصارا على حكاية مخاطبتهم إياه– عليه السلام – للتنبه على أن إتيانهم

---

(١) النخجوانى، نعمة الله بن محمد: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، (١/٥٣٥ – ٥٣٧)، دار كابى للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٩، بتصرف.

به ومسارعتهم إلى ذلك أمر فمحقق، فأجابهم – عليه السلام – (بل فعله كبيرهم هذا) وفى قوله هذا أشار إلى الصنم الذى لم يكسره، فسلك مسلكا تعريضيا يؤدى إلى مقصده الذى هو إلزامهم الحجة على ألطف وجه وأحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم، إذ كيف لا تحمى نفسها[1]، ثم قال إبراهيم – عليه السلام –: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ قالها على سبيل الشرط ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: رجعوا إلى فكرهم وعقولهم، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون بعبادتكم ما لا يدفع عنه شيئا[2]. فكيف صار حالهم ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أجرى الله حقا على لسانهم في قولهم ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ ثم أدركتم الشقاوة وهو معنى ثم نكسوا على رؤوسهم، أي: رجعوا إلى شركهم واحتجاجهم على الأصنام[3]، فقال لهم إبراهيم – عليه السلام – ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أتعلمون ذلك وتعبدون من دون الله ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾، من الخير والشر، وقيل: بشيء من النفع والضر، فإن العلم

---

(١) أبوالسعود، محمد محمد بن مصطفى العمادى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (٥/٥١١)، تحقيق: خالد عبد الغنى محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، بتصرف.

(٢) البغوى، أبو محمد بن مسعود: معالم التنزيل (تفسير البغوى)، (٣/٢١٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، بتصرف.

(٣) الماوردى، أبو الحسن على بن محمد: النكت والعيون، (٣/٤٥٢)، تحقيق: عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، بتصرف.

بحال هذه الأصنام المنافية للألوهية، مما يوجب اجتناب عبادتها قطعا[1]. ثم قال إبراهيم – عليه السلام –: ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾، و" أف " هذه مقولة يظهر فيها ضيق الصدر، وغيظ النفس، والعجب من السخف الذى يتجاوز كل مألوف[2].

ومما سبق تؤكد الباحثة أن قوم إبراهيم – عليه السلام – من تأكدوا من عبارات إبراهيم – عليه السلام – أنه هو من قام بتحطيم الأصنام. وبدلا من أن يفكروا في عجز تلك القطع الحجرية العاجزة عن فعل شيء، ومن ثم يرجعوا إلى الحق، عقدوا العزم وأشعلوا النار لسيدنا إبراهيم – عليه السلام –.

(١) الألوسى، شهاب الدين السيد: روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، (٧/٦٥)، تحقيق: على عبد البارى عطية، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، بتصرف.

(٢) الزحيلى، وهبة بن مصطفى: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط٢، (١٧/٨٤)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ.

المطلب الخامس
الدروس والعبر المستفادة من منهج إبراهيم - عليه السلام -
في دعوة المشركين

١- إحراج قومه ببيان حقيقة آلهتهم: هذه الآيات العظيمة تبين أن صاحب الرسالة يجب أن يكون مؤمنا بها، قويا في توصيلها، متبعا لسابقيه الذين أناروا مشاعلها، مستخدما الأساليب المناسبة لمتلقيها، والمستخلص من هذه الوسائل التي استخدمها إبراهيم – عليه السلام – لتبليغ الناس.

٢- أهمية دور الشباب في الدعوة في الله ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾(الأنبياء: ٥١) " وإسماعيل وبناء البيت – أصحاب الكهف – أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – ".

٣- خطر التقليد الأعمى والأتباع على غير بصيرة ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٥٣).

٤- الجزاء من جنس العمل: (بر الآباء يبقى في الأبناء) قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ (الصافات: ١٠٢) وقال إسماعيل – عليه السلام – لزوجته: " ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها " رواه البخاري[١].

٥- التدرج في الحجة والإقناع واتخاذ المنطق السليم والحكمة: فقد استخدم

---

(١) البخارى، صحيح البخارى: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا) ٤/١٤٢ حديث (٣٣٦٤)، دار المنهاج، جدة، مرجع سابق.

إبراهيم – عليه السلام – لبلوغ غايته المرجوة طريقة الحوار لتقرير وحدانية الله سبحانه وتعالى في أذهان قومه الذين يعكفون على عبادة الأصنام والتماثيل، حيث حقر معبوداتهم من دون الله وبين عجزها.

٦- الانتقال لمخاطبة العقل صاحباً معه الدليل الواضح لإثبات بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل، فاستدرجهم بعد أن أقام عليهم الحجة حين خاطب القلب والفطرة، وبذلك قطع عليهم زيفهم وكشف نواياهم بدقة(١).

٧- إن عبادة الإنسان لغير الله تعالى هي انحطاط بإنسانية الإنسان، وإهدار لكرامته، فضلا عن كونها شركا وكفرا به، ومن هنا كان هذا النقد النافذ من إبراهيم – عليه السلام – لقومه ولأبيه، وقد كانوا يعبدون الكواكب والنجوم والأصنام والأوثان، كما فعل غيرهم من الكفار والمشركين عبر التاريخ، ولا يزالون إلى قيام الساعة.

٨- المناظرة والمجادلة لإثبات الحق: تعتبر المناظرة والمجادلة من أرقى آداب التعامل التى يستخدمها الداعية، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، وقد استخدمها إبراهيم – عليه السلام – فى دعوته، فأبرزت أدب احترام عقل المدعو، وأظهرت حجة النبى الدامغة التى ما بعدها حجة أمام قومه، تأمل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي

---

(١) العارف، هشام فهمى: سيرة إبراهيم عليه السلام في القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٤٦ – ٤٨، بتصرف.

حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ ... ﴾ [البقـرة:٢٥٨] فاستخدم إبراهيم – عليه السلام – المناظرة والمجادلة مع نمرود بن كنعان الذى أوتى الملك فطغى وادعى الربوبية فحاجه إبراهيم – عليه السلام – بعد إلقائه فى النار وخروجه منها سالما، واستخدم إبراهيم – عليه السلام – أسلوب المناظرة والمجادلة مع قومه مرة أخرى فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِين. فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّين. فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هذَا رَبِّي هذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُون﴾ [الأنعام:٧٦ – ٧٨]، اتجه الخليل إلى تعريف الإله الأوحد أمام قومه، ظنه فى كوكب، قال ذلك على سبيل الفرض وإرخاء العنان، مجاراة مع عبادة الأصنام والكواكب ليقر عليه بالإبطال، ويثبت أن الرب لا يجوز عليه التغيير والانتقال، لكن الكوكب أفل فزال، والإله لا يزول، ثم ظنه القمر إذا رآه بازغا، ولكنه أفل أيضا، واعتبر نفسه تسير فى ضلاله، وأنه إن لم يهده ربه الذى يؤمن بوجوده ليكونن من الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى، لأنها أكبر، فلما أفلت أدرك أن الله تعالى لا يكون أمرا محسوسا فقرر البراءة من الشرك واتجه إلى الخالق[1] فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ... ﴾ [الأنعام:٧٩].

(١) طنطاوى، محمد سيد: التفسير المحيط، (٥/١٥٠ – ١٥٢)، ط٣، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

المبحث الرابع

تعذيب إبراهيم - عليه السلام - من قبل قومه

المطلب الأول

إلقاء إبراهيم - عليه السلام - في النار

ذكر الله تعالى موقف إلقاء إبراهيم – عليه السلام – في النار بشئ من الإجمال، تاركا ذكر عمره حينئذ، ومكان تنفيذ الحكم الجائر، وزمانه، وما ذلك إلا لأن القرآن الكريم يهتم بأخذ العبر والعظمة من القصة، كما أن العلم بهذه التفاصيل لا يفيد، والجهل بها لا يضر. قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾(الأنبياء: ٦٨) أي: حرقوا إبراهيم بالنار إن كنتم ناصرين آلهتكم[١]. وفى قوله حرقوه صيغة مبالغة تدل على شدة الغضب والحقد الممتلئ به قلوب قومه عليه، ولم يكن رد إبراهيم – عليه السلام – إلا قوله: حسبنا الله ونعم الوكيل. وفى الصحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: " حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقى في النار "[٢].

ومما لا يخفى على أحد أن السبب المباشر في صدور هذا الحكم هو تحطيم إبراهيم الأصنام عندما كان قومه خارج المدينة يحتفلون بعيد من أعيادهم.

---

(١) الطبرى، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل القرآن، (٢٦٦/٥)، ط١، تحقيق: بشار بن معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، بتصرف.

(٢) البخارى، محمد بن إسماعيل: الجامع المسند الصحيح، ٣٩/٦، كتاب التفسير، باب (إن الناس قد جمعوا لكم) حديث رقم (٤٥٦٣)، ط٢، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٩هـ.

قال القرطبى: روى كعب الأحبار عن النبى– ﷺ – أن إبراهيم– عليه السلام – حين قيدوه ليلقوه في النار قال: " لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك " قال ثم رموا به في المنجنيق من مضرب شاسع، فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة ؟ فقال: أما إليك فلا، فقال جبريل فاسأل ربك، فقال: " حسبى من سؤالى، علمه بحالى "(١) وقال بعض العلماء: جعل الله فيها بردا يرفع حرها، وحرا يرفع بردها، فصارت سلاما عليه، قال أبو العالية: ولو لم يقل بردا وسلاما على إبراهيم. لكان بردها أشد عليه من حرها، ولو لم يقل على إبراهيم لكان بردها باقيا إلى الأبد.

وجاء في زاد المسير: ذكر أهل التفسير أنهم حبسوا إبراهيم – عليه السلام – في بيت، ثم بنوا له حيرا(٢) طول جداره ستون ذراعا إلى سفح جبل

---

(١) الحكيم الترمذى، محمد بن على بن الحسن: نوادر الأصول في احاديث الرسول، تحقيق: عبد الرحمن عمير، كتاب (التفسير)، باب (إن الناس قد جمعوا لكم)، حديث (٤٥٣٦)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.

(٢) حار يحار حيرة وحيرا بسكون الياء فيهما تحير في أمره فهو حيران وقوم حيارى وحيرة فتحير ورجل حائر بائر إذا لم يتجه لشئ والحيرة بالكسر مدينة بقرب الكوفة، والحيّر شبه الحظيرة أو الحمى.
[انظر: الرازى: مختار الصحاح، مادة حير (٥٩/١)].
ويظهر من المعانى أن الحير مكان مسور بسور دائرى يشعر المحبوس فيه أنه تائه وحائر.
[الرازى، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، مادة حير، (٥٩/١)، مكتبة لبنان، لبنان، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، بتصرف].

منيف[١]، ونادى منادى الملك أيها الناس احتطبوا لإبراهيم – عليه السلام – ولا يتخلفن عن ذلك صغير ولا كبير فمن تخلف ألقى في تلك النار، ففعلوا ذلك أربعين ليلة، حتى إن كانت المرأة لتقول إن ظفرت بكذا لأحتطبن لنار إبراهيم، حتى إذا كان الحطب يساوى رأس الجدار سدوا أبواب الحير وقذفوا فيه النار فارتفع لهيبها، حتى إن كان الطائر ليمر بها فيحترق من شدة حرها، ثم بنوا بنيانا شامخا وبنوا فوقه منجنيقا ثم رفعوا إبراهيم – عليه السلام – على رأس البنيان، فرفع إبراهيم – عليه السلام – رأسه إلى السماء وقال: " اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل " فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا إبراهيم يحرق فيك فائذن لنا في نصرته. فقال: أنا أعلم به وإن دعاكم فأغيثوه " فقذفوه في النار وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل ست وعشرين فقال: حسبى الله ونعم الوكيل "[٢].

---

(١) أناف الجبل وأناف البناء فهو جبل منيف، وبناء منيف أي طويل. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل: لسان العرب، مادة نوف، (٣٤٢/٩)، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت بتصرف.

(٢) ابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن: زاد المسير في علم التفسير (٣٦٧/٥)، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت بتصرف.

المطلب الثانى

نجاته - عليه السلام - من النار

بدأ الاستعداد لحرق إبراهيم. انتشر النبأ في المملكة كلها، وجاء الناس من القرى والجبال والمدن ليشهدوا عقاب الذى تجرأ على الآلهة وحطمها واعترف بذلك وسخر من الكهنة، وحفروا حفرة عظيمة ملئها بالحطب الخشب والأشجار، وأشعلوا فيها النار، وبعد إلقائه في النار، يأمر الله تعالى النار أن تكون بردا وسلاما فكانت كذلك. وهذه قدرة الله – عز وجل –، الذى وضع في النار خاصية الاحتراق وهو القادر على سلبها. قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ (الأنبياء: ٦٩).

قال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاما لمات إبراهيم من بردها، فلم يبق نار في الأرض إلا طفئت أنها هي التي تعنى، ولم يبق في الأرض يومئذ إلا من يطفئ النار عن إبراهيم – عليه السلام – إلا الوزغ، فإنها كانت تنفخ عليه[1].

خرج إبراهيم – عليه السلام – من النار كما لو كانوا يخرج من حديقة، وتصاعدت صيحات الدهشة الكافرة، خسروا جولتهم خسارة مريرة وساخرة، قال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٠) كيدا، أي: إحراقا وتعذيبا " فجعلناهم الأخسرين " أي خسروا في الدنيا والآخر.

---

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، (٣/٢٢٣)، دار السلام، الرياض، د. ت.

وعن سائبة مولاة الفاكه بن المغيرة، أنها دخلت على عائشة رضى الله عنها فرأت في بيتها رمحا موضوعا، فقالت: يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا ؟ قالت: نقتل به هذه الأوزاغ، فإن نبى الله – ﷺ – أخبرنا: أن إبراهيم – عليه السلام – لما ألقى في النار لم تكن في الأرض دابة إلا أطفأت النار، غير الوزغ، فإنها كانت تنفخ فيه، فأمر رسول الله – ﷺ – بقتله(١)، فقتل الوزغ سنة عن رسول الله – ﷺ – وأجرها كبير، عن أبى هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: من قتل وزغة فله كذا وكذا حسنة(٢)، وهذا يدل على ان كل من يعادى توحيد الله – عز وجل – فإنه يبقى ذكره ممقوتا إلى يوم القيامة.

---

(١) ابن ماجة القزوينى، أبو عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، باب قتل الأوزاغ، ط٢، تحقيق: محمد بن الناصر الألبانى، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٢) النيسابورى: مسلم بن الحجاج: صحيح الإمام مسلم، كتاب: السلام، (٤٢/٧)، تحقيق: محمد زهير، ط١، دار المنهاج، جدة، ١٤٣٣هـ.

المطلب الثالث

هجرته - عليه السلام - لبلاد الشام

أ- هجرته إلى الشام:

بعد أن دعا إبراهيم – عليه السلام – أباه وقومه، وقوبل بما قوبل به من إلقاء في النار، وظهور المعجزة أمام قومه، قرر – عليه السلام – أن يهاجر من بلده العراق فهاجر ولوط – عليهما السلام – الذى آمن به إلى الأرض المباركة، وذكر هذا في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ (العنكبوت: ٢٦)، وقال أيضا: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾(الأنبياء: ٧١)، ومن بركة بلاد الشام أن أكثر الأنبياء منها، فانتشرت آثارهم في العالمين[(١)].

ب- هجرته إلى مصر:

وبعد هجرته إلى الشام هاجر وسارة إلى مصر، كما في الحديث الصحيح " هاجر إبراهيم – عليه السلام – بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبار من الجبابرة... "[(٢)] وهذا الجبار كان على مصر[(٣)] وقد

---

(١) النسفى، عبد الله بن أحمد بن محمود: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٩٤/٢)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

(٢) البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى: كتاب البيوع، باب: شراء المملوك من الحربى وهبته وعتقه، رقم الحديث (٢٢١٧)، ص ٤١٣، محمد بن إسماعيل البخارى، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان.

(٣) ابن حجر العسقلانى: فتح البارى شرح صحيح البخارى، (٤٧٥/٦)، تحقيق: عبدالعزيز بن باز، محمد عبدالباقى، دار الحديث، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

وهب الجبار هاجر لسارة بعد أن نجاها الله من الطاغية كما بان من الحديث " فأخدمها هاجر "[1].

ج- **رجوعه إلى الشام:**

وبعد ذلك رجع إبراهيم – عليه السلام – بسارة ومعها خادمتها هاجر إلى الشام مرة أخرى، وهناك عرضت سارة على إبراهيم – عليه السلام – أمتها هاجر، وقالت: إنا حرمنا الولد، فادخل على أمتى هاجر لعل الله يرزقنا منها ولدا، وفعلا قدر الله أن ينجب منها إسماعيل – عليه السلام –[2] فكانت المعجزة الإلهية أن رزقه الله الولد في سن كبير وكان إسماعيل – عليه السلام – بكره ودليل ذلك من القرآن الكريم ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾(إبراهيم: ٣٩).

د- **هجرته إلى مكة:**

وعندما رزق الله إبراهيم – عليه السلام – الولد أمره ربه أن يأخذ ابنه الرضيع وأمه إلى بلاد الحجاز، ويضعهما في واد غير ذي زرع، وامتثل إبراهيم – عليه السلام – لأمر ربه، فهو المستسلم لأوامره، وهذا ما مدحه الله – عز وجل –في كتابه حينما قال عنه: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ١٣١)، وبعد أن تركهما في الوادى لحقت به هاجر تسأله عن

---

(١) البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلا) رقم الحديث (٣٣٥٨)، ص ٦٤١.

(٢) الطبرى، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، (١/٢٥٤)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

سبب تركه لها في هذا الوادي المقفر، كما ظهر ذلك في الحديث الشريف الذى رواه البخارى: " عن سعيد بن جبير قال ابن عباس: أول ما اتخذ من النساء المنطق[1] من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعفى[2] أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة[3] فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندها جرابا[4] فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه إنس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت له آلله الذى أمرك بهذا، قال نعم قالت إذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه وقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ

---

(١) المنطق: ما تلبس المرأة ثوبها ثم تشد وسطها بشئ وترفع ثوبها وترسله إلى الأسفل عند معاناة الأشغال لئلا تعثر في ذيلها.
أبو السعدات بن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ط٢، دار ابن الجوزى، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ، ص ٩٢٤، بتصرف.

(٢) تعفى: تمحو. [المقرى، أحمد: المصباح المنير، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٢٤٩، بتصرف].

(٣) الدوحة: الشجرة العظيمة. [إبن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، (٢/٣١٠)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، بتصرف].

(٤) الجراب: وعاء يحتوى شيئا. [أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، (١/٩٤٩)، مرجع سابق].

أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[1] فاستجاب الله دعاءه، وها هي مكة اليوم تعمر في كل وقت وحين، وفى مكة حدث ما حدث من بركة زمزم، والأمر بذبح إسماعيل، وفدائه بكبش عظيم، وبناء البيت الحرام على فترات.

٥- <u>رجوعه إلى الشام:</u>

بعد أن ترك إبراهيم – عليه السلام – هاجر وابنه إسماعيل في الحجاز، رجع للشام مرة أخرى وهناك بُشر وسارة بإسحاق نبيا بعد أن أصبح كبير في السن، كما قال تعالى في كتابه العزيز محدثا عن إتيان الملائكة بالبشرى فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾(هود: ٦٩ – ٧٣).

---

(١) البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: " واتخذ الله إبراهيم خليلا " رقم الحديث (٣٣٦٤)، ص ٦٤٢، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

المطلب الرابع
الدروس والعبر المستفادة
من تعذيب إبراهيم - عليه السلام - من قبل قومه

كل عام في مثل هذه الأوقات المباركة من أشهر الحج نتذكر قصة الخليل إبراهيم – عليه السلام – ابى الأنبياء الذى رفع القواعد من البيت وابنه إسماعيل، وذلك للتسلية والثبات في الصراع مع الباطل، كما قال تعالى: ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(هود: ١٢٠) وكما هو معلوم من إجماع العلماء على أن إبراهيم – عليه السلام – هو أفضل البشر بعد النبى – ﷺ – لحديث النبى – ﷺ – عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله – ﷺ – فقال يا خير البرية فقال رسول الله – ﷺ – (ذاك إبراهيم عليه السلام)[1] لذلك كانت هذه الوقفات والدروس والعبر، لتعرف المؤهلات التي جعلت لإبراهيم – عليه السلام – هذه المكانة، وأهلته للإمامة وقيادة البشرية:

١– الإذعان والتسليم والانقياد للتكاليف الشرعية حتى لو خالف العواطف عندما أمره ربه أن يضع هاجر وابنه إسماعيل الذى رزق به بعد طول عمر في صحراء جرداء وعندما أمره ربه أن يذبح ابنه إسماعيل بعدما بلغ معه السعي.

٢– كانت حياة إبراهيم – عليه السلام – مثالا للبذل والتضحية والهجرة في سبيل

---

(١) أخرجه مسلم كتاب (الفضائل) باب (من فضائل إبراهيم عليه السلام) ٤/ ١٨٣٥ حديث (٢٣٦٩).

الله والدعوة إلى الله من العراق إلى الشام إلى مصر ثم إلى الشام ثم إلى الحجاز ثم إلى الشام ثم إلى الحجاز، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ (العنكبوت: ٢٦)

٣- حُسن التوكل على الله وتفويض الأمر إليه عندما قال: (حسبى الله ونعم الوكيل) كما قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: قالها إبراهيم – عليه السلام – فنجاه من النار وقالها أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – في حمراء الأسد بعد أحد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ (آل عمران: ١٧٣)

٤- الثقة واليقين في الله عندما وضع هاجر وابنها إسماعيل في الصحراء، فقالت له: (آلله أمرك بهذا ؟) قال لها: نعم، قالت: (إذن لن يضيعنا).

٥- قسوة قلوب أهل الكفر والجهل (جمعهم الحطب شهرا – صناعة المنجنيق – رميه عاريا – الحضور العام للمشهد).

٦- نارهم في الآخرة لا تكون بردا وسلاما، ولا يلقون فيها تحية وسلاما ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾﴾ (الفرقان: ٦٦).

الخاتمة والتوصيات

أولا: الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، ويمكن بيانها على النحو التالى:

١) اختلف علماء التاريخ في اسم والد إبراهيم – عليه السلام – ومكان ولادته وبعض تفاصيل رحلاته وهجراته، وهذا الاختلاف لا يضيرنا كمسلمين لأنه لا يترتب على معرفته كبير علم، ولا على عدم معرفته كبير جهل، لأن الله تعالى لو أراد أن يطلعنا عليه لأطلعنا، والحكمة الأولى من القصص القرآنى هي أخذ الدروس والعبر منها.

٢) اسم والد إبراهيم – عليه السلام – هو آزر كما تبين ذلك في صريح القرآن الكريم.

٣) اتبع إبراهيم – عليه السلام – جميع الأساليب الممكنة في توصيل دعوته إلى قومه، فمن المواجهة الفردية والجماعية إلى إقامة الحجج بالبرهان والحوار والتورية.

٤) لقد غير إبراهيم – عليه السلام – المنكر بيديه حين كسر الأصنام، وبلسانه طوال مدة بعثته، ولم يكن ممن يغير المنكر بقلبه لأنه لم يكن ضعيف الإيمان مطلقا.

٥) وجوه التشابه بين إبراهيم – عليه السلام – وخاتم الأنبياء (عليه الصلاة والسلام) كثيرة جدا من الشبه الخلقى إلى التشابه في الصفات الخُلُقية، وفى الدعاء وفى محبة الله والناس، والمكانة في الدنيا والآخرة.

٦) كثرة ورود اسم إبراهيم – عليه السلام – في القرآن الكريم فقد ورد تسعا

وستين مرة، وفى هذا بيان لأهمية شخصية إبـراهيم – عليه السلام – في القرآن.

٧) هجرة إبراهيم – عليه السلام – عدة هجرات وكلها في ذات الله سبحانه وتعالى، وفى ذلك بيان لأهمية الهجرة في حياة المسلم.

٨) إن دين إبراهيم – عليه السلام – هو الحنيفية،والحنيفية هي الميل عن الباطل إلى الحق، وقد مال إبراهيم – عليه السلام – عن عبادة الأصنام إلى دين الله – عز وجل – وهو الإسلام.

٩) اتصاف إبراهيم – عليه السلام – بالعديد من الصفات وكريم الخصال، وقد وردت صفاته في القرآن الكريم ومنها: اتصافه – عليه السلام – بالحلم والرشد والإنابة والصبر والشجاعة والجرأة لدين الله تعالى وهو الإسلام.

١٠)أهمية الحوار في الدعوة إلى الله، فإن إبراهيم – عليه السلام – استخدم في دعوته حوارات عدة، شملت: أبوه، وقومه، والنمرود.

١١)جواز الاستغفار للمسلمين، ومنعه في حق المشركين.

١٢)الولاء لله ورسوله والمؤمنين، والبراء من أعداء الله ورسوله والمؤمنين ولو كانوا من أولى القربى.

١٣)معجزة إبراهيم – عليه السلام – تمثلت في إنقاذه من النار، وكونها بردا وسلاما عليه بإذن الله – سبحانه وتعالى –.

١٤)حرمان الكفار يوم القيامة من الشفاعة، وقد حرم والد إبراهيم– عليه السلام – من شفاعة ابنه إبراهيم – عليه السلام –.

١٥)ضرورة تمسك الدعاة بآداب تعامل أنبياء الله الكرام مع أقوامهم.

١٦)دعوة إبراهيم – عليه السلام – إلى توحيد الله – عز وجل – كانت واضحة، مع ثباته على المبدأ رغم الشدائد والصعوبات، وهى حال الأنبياء جميعا – عليهم السلام –.

١٧)أهمية أخذ العظة والدروس والعبرة من قصص الأنبياء – عليهم السلام – والتأسى بهم في الصبر والدعوة إلى توحيد الله – عز وجل –.

١٨)شخصية إبراهيم – عليه السلام – من أعظم شخصيات الأنبياء – عليهم السلام – وقد توافقت قصته مع ما وصفه الله – عز وجل – به، فقد كان أمة.

ثانيا: التوصيات:

١) اتباع منهج إبراهيم – عليه السلام – في دعوته، فيجب على كل داعية أن يطلع على كيفية دعوته – عليه السلام – لأبيه وقومه، والاستفادة من الأساليب التي اتبعها إبراهيم – عليه السلام –، والسير عليها، فهو قدوة للمسلمين، وهو – عليه السلام – أمة في الخير.

٢) طرح قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام – ودعوته في المناهج التعليمية الأزهرية، والحلقات الدعوية، حتى يتم ترسيخ العقيدة على أصولها.

٣) إفراد الشبهات التي وردت في حق إبراهيم – عليه السلام – بدراسة خاصة، والتي منها شبهة الشك في وجوده – عليه السلام –، وشبهة الكذبات الثلاث، وشبهة والده.

٤) قصص القرآن الكريم تفيض بالآداب، ومطالب هذا البحث قد يكفى كل منها لعمل بحث مستقل.

٥) ما ورد من آداب تعامل في هذا البحث اقتصر على القصص القرآني،

وينبغي للباحثين العمل على استنباط باقي آداب القرآن في غير القصص القرآني.

٦) ضرورة الاعتناء بالقصص القرآنية وأخص منها السور والآيات التي تحدثت وبيان الثمرات والفوائد والدروس للمسلمين.

وأخيرا أحمد الله – عز وجل – على إتمام هذا البحث، فإن كنت قد أصبت فما توفيقى إلا بالله وحده، وإن كنت قد أخطأت فمن نفسى والشيطان، وأستغفر الله من كل زلل، وأرجو السداد في القول والعمل، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، أبو السعدات: النهاية في غريب الحديث والأثر، ط٢، دار ابن الجوزى، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ.
- ابن الجوزى، أبو الفرج عبد الرحمن: زاد المسير في علم التفسير، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت.
- ابن حجر العسقلانى، أحمد بن علـى: فتح البارى شرح صحيح البخارى، تحقيق: عبد العزيز بن باز ومحمد عبد الباقى، دار الحديث، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ
- ابن حجر العسقلانى، أحمد بن علـى: فتح البارى شرح صحيح البخارى، دار السلام، الرياض، ١٤٢١هـ.
- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٤م.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: المجلس العلمى بفاس، المغرب، د.ت.
- ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، (٢/٣١٠)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- ابن كثير الدمشقى، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، مكتبة القاهرة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- ابن كثير الدمشقى، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تحقيق: محمد الألبانى، خرج

أحاديثه: محمود الجميل، وليد سلامة، خالد عثمـــان، مكتبـــة الصـــفا، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- ابن كثير الدمشقى، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمـــر: تفســـير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ.
- ابن كثير الدمشقى، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمـــر: تفســـير القرآن العظيم، دار السلام، الرياض، د.ت.
- ابن كثير الدمشقى، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمـــر: قصـــص الأنبياء، مكتبة الإيمان، المنصورة، د.ت.
- ابن كثير الدمشقى، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمـــر: قصـــص الأنبياء، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ابن ماجة القزوينى، أبو عبد الله محمد بن يزيد: سنن ابن ماجة، ط٢، تحقيق: محمد بن الناصـــر الألبـــانى، مكتبـــة المعـــارف، الريـــاض، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.
- أبو الزمنين السمرى، محمد بن عبد الله: تفسير ابن أبى الزمنين وهو مختصر تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: أحمد فريد محمد حســـن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- أبو السعود العمادى، محمد محمد بن مصطفى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: خالد عبد الغنـــى، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت، لبنان، د.ت.

- أبو حيان الأندلسى، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- الألوسى، شهاب الدين السيد: روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، ط٤، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.
- الألوسى، شهاب الدين السيد: روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، تحقيق: على عبد البارى عطية، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- البخارى، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند من أمور الرسول – ﷺ – وسننه وأيامه، دار الفكر العربى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.
- البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى (الجامع المسند الصحيح)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقى، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ.
- البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى (الجامع المسند الصحيح)، ط٢، دار المنهاج، جدة، ١٤٢٩هـ.
- البخارى، محمد بن إسماعيل: صحيح البخارى (الجامع المسند الصحيح)، ط٢، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- البعلى، محمد بن أبى الفتح: المطلع على أبواب الفقه، تحقيق: محمد الأدلبى، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- البغدادى، أبو منصور: معانى القراءات، تحقيق: عبده درويش وعوض

القوزى، دار المستشرق، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- البغوى، أبو محمد بن مسعود: معالم التنزيل (تفسير البغوى)، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، ١٤١١هـ.
- البغوى، أبو محمد بن مسعود: معالم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- الثعالبى، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: أبو محمد الغماوى، الإدريسى الحسنى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.
- الحكيم الترمذى، محمد بن على بن الحسن: نوارد الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد الرحمن عمير، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.
- الخالدى، صلاح: القصص القرآنى عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم، دمشق، ١٤١٩ه/١٩٩٨م.
- الخفاجى، شهاب الدين أحمد: حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضى، تحقيق: عبد الرازق المهدى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ.
- الخفاجي، شهاب الدين بن أحمد: حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضى، تحقيق: عبد الرازق المهدى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ.
- الذهبى، محمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، لبنان، د.ت.

- الراجحى، سليمان: إبراهيم –عليه السلام– في التوراة – دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ.
- الرازى، أبى حاتم عبد الرحمن بن إدريس: تفسير القرآن العظيم مسندا إلى الرسول (ﷺ) والصحابة والتابعين، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتب نزار المصطفى الباز، مكة المكرمة، د.ت.
- الرازى، محمد بن أبى بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الراغب الأصفهانى: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد كيلانى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.
- الزحيلى، وهبة بن مصطفى: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ.
- الزركلى، خير الدين بن محمود: الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.
- الزركلى، خير الدين بن محمود: الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.
- السعدى، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط٢، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، دار السلام، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- السعدى، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكلام الرحمن في تفسير كلام الحنان، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤١٠هـ.

- الشعراوى، محمد متولى: قصص الأنبياء، المجلد الأول، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- الشنقيطى، محمد الأمين بن محمد المختار الجكنتى: أضــواء البيــان، طبع على نفقة صاحب السمو الملكى الأمير أحمد بــن عبــد العزيــز، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- الشهرستانى، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيــق: عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت.
- الشيبانى، مسند الإمام أحمد بن حنبل: مسند أحمد، تحقيــق: شــعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، ط٢، مؤسسة الرســالة، بيــروت، لبنــان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- الصالحى، على الحمد المحمد: الضوء المنير على التفسير، مؤسســة النور بالتعاون مع مكتبة السلام، الرياض، د.ت.
- الطبرى، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتــب العلميــة، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الطبرى، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك، ط٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- الطبرى، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: بشا ابن معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الطبرى، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويــل القــرآن (تفســير الطبرى)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ.
- الطبرى، محمد بن جرير: قصص الأنبياء، ط٢، تحقيق: جمال بدران،

الدار المصرية اللبنانية، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- العارف، هشام فهمي: سيرة إبراهيم عليه السلام في القرآن المجيد والأحاديث الصحيحة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- العدوى، محمد أحمد: دعوة الرسل إلى الله تعالى، مطبعة مصطفى الحلبى، مصر، د.ت.
- الفخر الرازى، محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- القاسمى، جمال الدين بن محمد: محاسن التأويل، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- القاسمى، جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم: محاسن التأويل، خرج أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.
- القرطبى، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ.
- القرطبى، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ط٢، راجعه: محمد الحفناوى، خرج أحاديثه: محمود عثمان، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- القرطبى، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، ط٢، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢هـ.
- القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، منشورات العصر الحديث،

الرياض ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- الماوردى، أبو الحسن على بن محمد: النكت والعيون، تحقيق: عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار مكتبة المؤيد، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- المقرى، أحمد: المصباح المنير، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- المولى، محمد أحمد جاد وآخرون: قصص القرآن، المجلد الأول، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
- النجار، محمد: تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، ط٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- النخجوانى، نعمة الله بن محمد: الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار كابى للنشر والتوزيع، مصر، ١٩٩٩م.
- النسفى، عبد الله بن أحمد بن محمود: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- النيسابورى، أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم: صحيح مسلم، دار مطابع الشعب، القاهرة، د.ت.
- النيسابورى، الحسن بن محمد: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- النيسابوى، أبو الحسن بن الحجاج بن مسلم: صحيح الإمام مسلم، كتاب (السلام)، تحقيق: محمد زهير، دار المنهاج، جدة، ١٤٣٣هـ.
- تفسير مقاتل بن سليمان البلخى، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م.
- حوارى، محمد بن حامد: دعوة من جامع الأحكام من تفسير الإمام القرطبى، دار طيبة، دمشق، ١٤٢٨هـ.
- رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.
- عبد الباقى، محمد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- عبد الباقى، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، بتصرف.
- قطب، سيد: في ظلال القرآن، ط٢، دار الشروق، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ.
- محيسن، محمد: القراءات وأثرها في علوم العربية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- مهران، محمد بيومى: تاريخ العرب القديم، دار المعرفة، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.
- ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى: معجم البلدان، تحقيق: فريد الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٥م.

